تفسير سورة السجدة

وهي مكِّيةٌ، غيرَ ثلاثِ آياتٍ نزلت بالمدينة، وهي قولُه تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ﴾ إلى تمام ثلاثِ آيات؛ قاله الكلبيُّ ومقاتل[1]. وقال غيرهما: إلَّا خمسَ آيات، من قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾[2]. وهي ثلاثون آيةً. وقيل: تسعٌ وعشرون.

وفي الصحيح عن ابن عباس أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقرأ في صلاة الفجر يومَ الجمعة: ﴿الٓمٓ . تَنزِيلُ﴾ السجدة، و ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ الحديث[3].

وخرَّج الدراميُّ أبو محمد في «مسنده» عن جابر بن عبد الله قال: كان النبيُّ ﷺ لا ينامُ حتى يقرأ ﴿الٓمٓ . تَنزِيلُ﴾ السجدة، و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[4].

قال الدَّراميُّ: وأخبرنا أبو المغيرة قال: حدثتنا[5] عَبْدةُ، عن خالد بن مَعْدَان قال: اقرؤوا المُنْجِيةَ، وهي ﴿الٓمٓ . تَنزِيلُ﴾، فإنه بلغني أنَّ رجلاً كان يقرؤها، ما يقرأ شيئاً غيرَها، وكان كثيرَ الخطايا، فَنَشرَتْ جناحها عليه وقالت: ربِّ اغْفِرْ له، فإنه كان يُكْثِرُ[6] قراءتي. فشفَّعها الربُّ فيه وقال: «اكتُبوا له بكلِّ خطيئةٍ حسنةً،

(١) ذكره عنهما الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٣٥٢، وأخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٥٨٠ عن ابن عباس.

(٢) النكت والعيون ٤/ ٣٥٢.

(٣) صحيح مسلم (٨٧٩)، وهو عند أحمد (١٩٩٣). وأخرجه أيضاً أحمد (١٠١٠٢)، والبخاري (٨٩١)، ومسلم (٨٨٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) سنن الدرامي (٣٤١١)، وأخرجه أيضاً أحمد (١٤٦٥٩)، والترمذي (٢٨٩٢)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧٠٦) - (٧٠٩).

(٥) في النسخ: حدثنا، وهو خطأ.

(٦) بعدها في (د) و (م): من

وارفَعوا له درجة»[١].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ . تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الإجماع على رَفْعِ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾، ولو كان منصوباً على المصدر لجاز، كما قرأ الكوفيون: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ . عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ . تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [يس: ٣-٥][٢].

و «تَنْزِيلُ» رَفْعٌ بالابتداء، والخبرُ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. أو خبرٌ على إضمارِ مبتدأ، أي: هذا تنزيلُ، أو: المَتْلوُّ تنزيلُ، أو: هذه الحروفُ تنزيلُ. ودلَّت «الم» على ذكر الحروف. ويجوز أن يكون «لَا رَيْبَ فِيهِ» في موضع الحال من «الكتاب»، و ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الخبر، قال مكّيّ[٣]: وهو أَحْسَنُها.

ومعنى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: لا شكَّ فيه أنَّه من عندِ الله، فليس بسحرٍ ولا شعرٍ ولا كَهَانةٍ ولا أساطيرِ الأوّلين.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ هذه «أَمْ» المنقطعةُ التي تقدَّر بِبَلْ وألفِ

---

(١) سنن الدرامي (٣٤٠٨)، وهو ضعيف لإرساله. خالد بن معدان: ثقة عابد يرسل كثيراً، وأبو المغيرة: هو عبد القدُّوس بن الحجاج، ثقة. كذا في «تقريب التهذيب». وعبدة: هي بنت خالد بن معدان ذكرها ابن حبان في الثقات ٧/ ٣٠٧ .

(٢) وهي قراءة حفص وابن عامر وحمزة والكسائي، وقرأ الباقون من السبعة بضم اللام. السبعة ص٥٣٩ ، والتيسير ص١٨٣ . والكلام من إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٩١ .

(٣) في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٥٦٧ ، وما قبله منه.

الاستفهام، أي: بل أيقولون[١]. وهي تدلُّ على خروجٍ من حديثٍ إلى حديث، فإنه عزَّ وجلَّ أثْبَتَ أنه تنزيلٌ من ربِّ العالمين، وأنَّ ذلك ممَّا لا ريبَ فيه، ثم أضْرَبَ عن ذلك إلى قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي: افْتَعلَه واخْتَلقَه.

﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ كذَّبهم في دَعْوَى الافتراء. ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ قال قتادةُ: يعني قريشاً، كانوا أمَّةً أميَّةً لم يأتهم نذيرٌ من قَبلِ محمدٍ ﷺ[٢]. و «لِتُنْذِرَ» متعلِّقٌ بما قَبْلَها فلا يُوقَفُ على «مِن ربِّكَ». ويجوز أن يتعلَّق بمحذوف، التقدير: أنزله لتنذر قوماً، فيجوز الوقفُ على «مِن ربِّكَ»[٣]. و «ما» في قوله: ﴿مَّآ أَتَىٰهُم﴾ نفْيٌ. ﴿مِّن نَّذِيرٍ﴾ صلة، و «نَذِيرٍ» في محلِّ الرفع، وهو المُعْلِمُ المُخَوِّف.

وقيل: المرادُ بالقوم أهلُ الفَترة بين عيسى ومحمدٍ عليهما السلام؛ قاله ابن عباس ومقاتل[٤]. وقيل: كانت الحجَّةُ ثابتةً لله جلَّ وعزَّ عليهم بإنذارِ مَن تقدَّم من الرسل وإنْ لم يَرَوْا رسولاً، وقد تقدَّم هذا المعنى[٥].

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ عرَّفهم كمالَ قدرته ليسمعوا القرآن ويتأمَّلوه. ومعنى «خَلَقَ»: أبْدَعَ وأوْجَدَ بعد العدَمَ وبعد أن لم تكن شيئاً.

﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من يوم الأحد إلى آخِرِ يومِ الجمعة. قال الحسن: من أيام الدنيا. وقال ابن عباس: إنَّ اليوم من الأيام الستة التي خَلَقَ الله فيها السماواتِ

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٠٣، والإملاء للعكبري ٤/ ١٨٣.

(٢) أخرجه الطبري ١٨/ ٥٩٠.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٥٧.

(٤) ذكره عنهما البغوي في تفسيره ٣/ ٤٩٧، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٣٥٧.

(٥) ينظر ١٣/ ٤٤، وسلف الكلام على أهل الفترة ٧/ ٣٩٠.

والأرضَ مقدارُهُ ألفُ سنةٍ من سِنِي الدنيا. وقال الضحَّاك: في ستةِ آلافِ سنة، أي: في مدَّةِ ستةِ أيامٍ من أيام الآخرة[١].

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ تقدَّم في «الأعراف» و «البقرة»[٢] وغيرِهما، وذكرنا ما للعلماء في ذلك مستوفىً في «الكتاب الأسْنَى في شَرْحِ أسماءِ اللهِ الحُسْنَى»[٣]. وليست «ثُمَّ» للترتيب، وإنَّما هي بمعنى الواو.

﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ أي: ما للكافرين من وليٍّ يَمنعُ من عذابهم «ولا شفيعٍ». ويجوز الرفعُ على الموضع[٤]. ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ في قدرته ومخلوقاته.

قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: يُنزل القضاءَ والقَدَر[٥]. وقيل: يُنزل الوحيَ مع جبريل[٦]. وروى عمرو بن مرَّةَ عن عبد الرحمن بن سابط قال: يدبِّر أمرَ الدنيا أربعةٌ: جبريلُ، وميكائيلُ، ومَلَكُ الموتُ، وإسرافيلُ، صلواتُ الله عليهم أجمعين. فأمَّا جبريلُ فموكَّلٌ بالرياح والجنود، وأمَّا ميكائيلُ فموكَّلٌ بالقَطْرِ والماء، وأمَّا مَلَكُ الموت فموكَّلٌ بقبض الأرواح، وأمَّا إسرافيلُ فهو يَنْزِلُ بالأمر عليهم[٧].

---

(١) أخرج قول ابن عباس والضحاك الطبري ١٨/ ٥٩٤ . قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٣٥٨ : وهذا قول ضعيف مُكرَهَةٌ ألفاظُ هذه الآية عليه، رادَّةٌ له الأحاديثُ التي بيَّنت أيامَ خَلْقِ الله تعالى المخلوقات.

(٢) ٩/ ٢٣٨ وما بعدها، و ١/ ٣٨٠ وما بعدها.

(٣) ص١٨٧ وما بعدها.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٩١ .

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط ٣/ ٤٥٠ ، والبغوي ٣/ ٤٩٧ دون نسبة.

(٦) تفسير البغوي ٣/ ٤٩٧ .

(٧) النكت والعيون ٤/ ٣٥٣ ، وأخرجه أبو الليث في التفسير ٣/ ٢٨ ، وأبو الشيخ في العظمة (٣٧٨) و(٣٨٠)، والبيهقي في الشعب (١٥٨).

وقد قيل: إنَّ العرش موضعُ التدبير، كما أنَّ ما دون العرش موضعُ التفصيل؛ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ [الرعد: ٢]، وما دون السماوات موضع التصريف؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا﴾ [الفرقان: ٥٠].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ قال يحيى بن سلام: هو جبريلُ يصعَد إلى السماء بعد نزوله بالوحي. النقَّاش: هو الملَك الذي يدبِّر الأمرَ من السماء إلى الأرض. وقيل: إنَّها أخبارُ أهلِ الأرض تَصْعَدُ إليه مع حَمَلتِها من الملائكة؛ قاله ابن شجرة[1]. ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾.

وقيل: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ أي: يرجع ذلك الأمرُ والتدبير إليه بعد انقضاء الدنيا ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وهو يومُ القيامة.

وعلى الأقوال المتقدِّمة؛ فالكنايةُ في «يَعْرُجُ» كنايةٌ عن المَلَك، ولم يَجْرِ له ذِكْرٌ لأنه مفهومٌ من المعنى، وقد جاء صريحاً في ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ قولُه: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

والضميرُ في ﴿إِلَيْهِ﴾ يعود على السماء على لغةِ مَن يذكِّرها، أو على مكان المَلَكِ الذي يَرْجِعُ إليه. أو على اسم الله تعالى؛ والمرادُ: إلى الموضع الذي أقرَّه فيه، وإذا رَجَعَتْ إلى الله فقد رجعت إلى السماء، أي: إلى سِدْرة المنتهى؛ فإنه إليها يرتفع ما يُصْعَدُ به من الأرض، ومنها ينزل ما يُهْبَطُ به إليها، ثَبت معنى ذلك في «صحيح» مسلم[2].

والهاءُ في «مِقْدَارُهُ» راجعةٌ إلى التدبير، والمعنى: كان مقدارُ ذلك التدبيرِ ألفَ

(١) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٢٥٣-٢٥٤.

(٢) برقم (١٧٣)، وهو عند أحمد (٣٦٦٥)، وهو من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، ولفظه: لمَّا أُسري برسول الله ﷺ، انتُهِيَ به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها يَنتهي ما يُعرَج به من الأرض فيُقبض منها، وإليها ينتهي ما يُهبَطُ به من فوقها فيُقبض منها...

سنةٍ من سِني الدنيا، أي: يقضي أمرَ كلِّ شيءٍ لألفِ سنةٍ في يومٍ واحد، ثم يُلْقِيه إلى ملائكته، فإذا مَضتْ قَضَى لألفِ سنةٍ أخرى، ثم كذلك أبداً؛ قاله مجاهد[١].

وقيل: الهاءُ للعُروج. وقيل: المعنى: أنه يدبِّر أمرَ الدنيا إلى أن تقوم الساعة، ثم يَعْرجُ إليه ذلك الأمرُ، فيَحْكُم فيه في يومٍ كان مقداره ألفَ سنة[٢].

وقيل: المعنى: يدبِّر أمرَ الشمس في طلوعِها وغروبِها ورجوعِها إلى موضعها من الطُّلوع، في يومٍ كان مقدارهُ في المسافة ألفَ سنة.

وقال ابن عباس: المعنى: كان مقدارُه لو سارَه غيرُ المَلَكِ ألفَ سنة؛ لأنَّ النزولَ خمسُ مئة، والصعود خمس مئة. ورُوي ذلك عن جماعةٍ من المفسِّرين، وهو اختيارُ الطَّبريّ[٣]؛ ذكره المهدويُّ. وهو معنى القول الأول، أي: إنَّ جبريل لسرعةِ سَيْرِه يقطعُ مسيرةَ ألفِ سنةٍ في يومٍ من أيامكم؛ ذكره الزمخشريُّ[٤].

وذكر الماورديُّ[٥] عن ابن عباس والضحَّاكِ: أنَّ المَلَك يصعد في يومٍ مسيرةَ ألفِ سنة. وعن قتادةَ: أنَّ المَلَك ينزل ويصعد في يومٍ مقدارُه ألفَ سنة. فيكونُ مقدارُ نزوله خمسَ مئة سنة، ومقدارُ صعودِه خمس مئةٍ على قول قتادةَ والسدِّي. وعلى قول ابنِ عباس والضحاك: النزولُ ألفُ سنة، والصعودُ ألفُ سنة.

﴿مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ أي: مما تَحْسُبون من أيام الدنيا. وهذا اليومُ عبارةٌ عن زمان يتقدَّر بألف سنة من سِني العالَم، وليس بيومٍ يستوعبُ نهاراً بين ليلتين؛ لأنَّ ذلك ليس عند الله. والعربُ قد تعبِّر عن مدَّةِ العصر باليوم، كما قال الشاعر:

---

(١) النكت والعيون ٤/ ٣٥٤ ، وأخرجه بنحوه الطبري ١٨/ ٥٩٥ .

(٢) الكشاف ٣/ ٢٤١ .

(٣) في تفسيره ١٨/ ٥٩٦ ، وقد أخرج قول ابن عباس بنحوه ١٨/ ٥٩٣ ، وأخرجه أيضاً عن مجاهد وقتادة.

(٤) في الكشاف ٣/ ٢٤٠ ، ويعني بالقول الأول قولَ يحيى بن سلام.

(٥) في النكت والعيون ٤/ ٣٥٤ .

يـومـان يـومُ مـقـامـاتٍ وأنـديـةٍ ويـومُ سيـرٍ إلـى الأعـداء تـأويـبِ[(١)]

وليس يريد يومين مخصوصين، وإنَّما أراد أنَّ زمانهم ينقسم شَطْرين، فعبَّر عن كلِّ واحدٍ من الشطرين بيوم[(٢)].

وقرأ ابن أبي عبلة: «يُعْرَجُ» على البناء للمفعول. وقرئ: «يَعُدُّونَ» بالياء[(٣)].

فأمَّا قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فمُشْكِلٌ مع هذه الآية. وقد سأل عبد الله بن فيروز الدَّيلميُّ عبدَ الله بن عباس عن هذه الآية، وعن قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فقال: أيامٌ سمَّاها سبحانه، وما أدري ما هي؟ فأكْره أن أقول فيها مالا أعلم. ثم سئل عنها سعيد بن المسيِّب فقال: لا أدري. فأخبرتُه بقول ابن عباس فقال ابن المسيِّب للسائل: هذا ابنُ عباس اتَّقى أن يقول فيها وهو أعلمُ منِّي[(٤)].

ثم تكلَّم العلماءُ في ذلك فقيل: إنَّ آية ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ هو إشارة إلى يوم القيامة، بخلاف هذه الآية، والمعنى: أنَّ الله تعالى جعله في صعوبته على الكفار كخمسين ألفَ سنة؛ قاله ابن عباس[(٥)]. والعربُ تَصِفُ أيامَ المكروه بالطول وأيامَ السرورِ بالقِصَر؛ قال:

ويـومٍ كـظـلِّ الـرُّمْـح قـصَّـر طـولَـه دَمُ الزِّقِّ عنَّا واصْطِفاقُ المزاهِرِ[(٦)]

---

(١) البيت لسلامة بن جندل، وهو في ديوانه ص٩٤ ، والخزانة ٤/ ٢٧ . والكلام في النكت والعيون ٤/ ٣٥٤ . قال البغدادي: المقامة بالفتح: المجلس، وروى أبو عمرو بالضم بمعنى الإقامة. وتأويب: صفةُ سيرٍ، وهو السرعة في السير والإمعان فيه.

(٢) النكت والعيون ٤/ ٣٥٤ .

(٣) الكشاف ٣/ ٢٤١ ، ونسب ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٣٥٨ قراءة: (يعدُّون) للأعمش والحسن بخلاف عنه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ١٠٨ . وقوله: فأخبرته بقول ابن عباس، القائل هو ابن أبي مليكة، وهو الذي روى الخبر. وأخرجه بنحوه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٢٢٧-٢٢٨ ، والطبري ٢٣/ ٢٥٤ ، والحاكم ٤/ ٦١٠ .

(٥) أخرجه النحاس في معاني القرآن ٥/ ٣٩٩ .

(٦) قائله يزيد بن الطثريه، كما في الحيوان ٦/ ١٧٩ ، والصحاح (صفق)، وجمهرة الأمثال ٢/ ١٩ ، =

وقيل: إنَّ يومَ القيامة فيه أيام، فمنه ما مقدارُه ألفُ سنة، ومنه ما مقدارُه خمسون ألفَ سنة[١].

وقيل: أوقاتُ القيامة مختلفةٌ، فيعذِّب الكافر بجنسٍ من العذاب ألفَ سنة، ثم ينتقل إلى جنسٍ آخرَ مدَّتُه خمسون ألفَ سنة.

وقيل: مواقفُ القيامة خمسون موقفاً، كلُّ موقفٍ ألفُ سنةٍ. فمعنى: ﴿يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ أي: مقدارُ وقتٍ أو موقفٍ من يوم القيامة.

وقال النحَّاس[٢]: اليومُ في اللغة بمعنى الوقتِ، فالمعنى: تعرج الملائكةُ والروحُ إليه في وقتٍ كان مقدارُهُ ألفَ سنة، وفي وقتٍ آخَرَ كان مقدارُه خمسين ألفَ سنة.

وعن وهب بن منبِّهٍ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: ما بين أسفلِ الأرض إلى العرش[٣].

وذكر الثعلبيُّ عن مجاهدٍ وقتادةَ والضحَّاك في قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ أراد: من الأرض إلى سِدرة المنتهى التي فيها جبريل. يقول تعالى: يسير جبريلُ والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرةَ خمسين ألفَ سنةٍ في يومٍ واحدٍ من أيام الدنيا[٤].

وقوله: ﴿إِلَيْهِ﴾ يعني إلى المكان الذي أمرهم الله تعالى أن يعرجوا إليه. وهذا كقولِ إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ أراد أرضَ الشام.

= وثمار القلوب للثعالبي ص٦٢٦، ومجمع الأمثال ١/ ٤٣٧ وأساس البلاغة (رمح). وذكره صاحب اللسان (صفق) وقال: قال ابن بري: نسب الجوهري هذا البيت ليزيد بن الطثرية، وصوابه لشبرقة بن الطفيل .اهـ. ويعني بدم الزق: الخمر، ووقع في ثمار القلوب: دم الدّنّ.

(١) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٠٠.

(٢) في معاني القرآن ٥/ ٣٠٠.

(٣) أخرجه النحاس في معاني القرآن ٥/ ٢٩٩.

(٤) ذكره عن مجاهد وقتادة البغوي ٣/ ٤٩٧-٤٩٨.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى المدينة.

وقال أبو هريرة: قال النبيُّ ﷺ: «أتاني مَلَكٌ من ربِّي عزَّ وجلَّ برسالةٍ، ثم رَفَعَ رِجلَه، فوضعها فوقَ السماءِ، والأخرى على الأرض لم يَرفَعْها بعد»[١].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: عَلِم ما غاب عن الخَلقِ وما حَضَرهم. و«ذَلِكَ» بمعنى أنا. حسبما تقدَّم بيانُه في أوّل «البقرة»[٢]. وفي الكلام معنى التهديدِ والوعيد، أي: أَخْلِصوا أفعالَكم وأقوالَكم، فإني أُجازي عليها.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ قرأ ابنُ كثير وأبو عمرو وابنُ عامر: «خَلْقَهُ» بإسكان اللام. وفتَحها الباقون[٣]، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم طلباً لسُهولتها. وهو فعلٌ ماضٍ في موضعِ خفضٍ نعتٍ لـ «شيء». والمعنى على ما روي عن ابن عباس: أَحْكَمَ كلَّ شيءٍ خَلَقَه، أي: جاء به على ما أراد، لم يتغيَّر على إرادته. وقولٌ آخَر: أنَّ كلَّ شيءٍ خَلَقَه حَسَن؛ لأنه لا يَقْدِرُ أحدٌ أن يأتيَ بمثله، وهو دالٌّ على خالقه[٤].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٦٨٥)، وابن عدي في الكامل ٤/ ١٣٩٢ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٨٠ : فيه صدقة بن عبد الله التنيسي، والأكثر على تضعيفه، ووثقه يحيى بن معين ودُحيم. اهـ وقال ابن عدي: أحاديث صدقة منها ما توبع عليه، وأكثره مما لا يتابع عليه، وهو إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق .اهـ. وقد حسَّنه المناوي في فيض القدير ١/ ١٠٥ .

(٢) ١/ ٢٤٢ .

(٣) السبعة ص٥١٦ ، والتيسير ص١٧٧ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٩٢ .

وَمن أَسْكَنَ اللَّامَ فهو مصدرٌ عند سيبويه؛ لأنَّ قوله: ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ يدلُّ على: خَلَق كلَّ شيءٍ خَلْقاً، فهو مثل: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٨٨] و ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤][(١)]. وعند غيره منصوبٌ على البدل من «كلّ» أي: الذي أَحْسَنَ خَلْقَ كلِّ شيءٍ. وهو مفعولٌ ثانٍ عند بعضِ النَّحْويين، على أن يكون معنى «أَحْسَنَ»: أَفْهَمَ وأَعْلَمَ، فيتعدَّى إلى مفعولين، أي: أَفْهَم كلَّ شيءٍ خَلْقَه[(٢)].

وقيل: هو منصوبٌ على التفسير، والمعنى: أَحْسَن كلَّ شيء خَلْقاً.

وقيل: هو منصوبٌ بإسقاطِ حرف الجرّ، والمعنى: أَحْسَن كلَّ شيء في خَلْقِه، وروي معناه عن ابن عباس[(٣)].

و﴿أَحْسَنَ﴾ أي: أَتْقَنَ وأَحْكَم، فهو حَسَنٌ[(٤)] من جهةِ ما هو لمقاصده التي أُرِيدَ لها، ومِن هذا المعنى [ما] قال ابن عباس وعكرمةُ: ليست اسْتُ القرد بحسنةٍ، ولكنَّها متقَنةٌ محكَمةٌ[(٥)].

وروى ابن أبي نجيحٍ عن مجاهد: ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ قال: أتقنه، وهو مثلُ قوله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ [طه: ٥٠] أي: لم يخلق الإنسان على خَلْقِ البهيمة ولا خَلَقَ البهيمةَ [على] خَلْقِ الإنسان[(٦)].

---

(١) ينظر الكتاب ١/ ٣٨١-٣٨٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٩٢، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٥٦٧. قال سيبويه: وقال: «كتابَ الله» توكيداً، كما قال: «صُنْعَ الله»، وكذلك: «وَعْدَ الله» [الروم: ٥]؛ لأن الكلام الذي قبله وَعْد وصُنْع، فكأنه قال جل وعز: وَعْداً وصُنْعاً وخَلْقاً وكتاباً. اهـ. فالهاء على هذا القول تعود على الله تعالى، و«خَلْقَه» مصدرٌ مؤكِّدٌ لمضمون الجملة. الدر المصون ٩/ ٨٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٩٢.

(٣) ذكره النحاس في معاني القرآن ٥/ ٣٠١.

(٤) في (ظ) و (م): أحسن، والمثبت من باقي النسخ، وهو موافق لما في المحرر الوجيز ٤/ ٣٥٩، والكلام منه.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٣٥٩، وما سلف بين حاصرتين منه. وقول ابن عباس أخرجه الطبري ١٨/ ٥٩٧ - ٥٩٨ من طريق عكرمة عنه.

(٦) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٠٠-٣٠١، وما بين حاصرتين منه. وأخرج قول مجاهد الطبري ١٨/ ٥٩٨.

ويجوز: «خَلْقُهُ» بالرفع، على تقدير: ذلك خَلْقُه[١].

وقيل: هو عمومٌ في اللفظ؛ خصوصٌ في المعنى، والمعنى: حسَّن خَلْقَ كلِّ شيءٍ حَسَنٍ.

وقيل: هو عمومٌ في اللفظ والمعنى: أي: جعل كلَّ شيء خَلَقَه حسناً، حتى جَعَلَ الكلبَ في خَلْقِه حسناً؛ قاله ابن عباس[٢]. وقال قتادة في اسْتِ القرد: حسنة[٣].

قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ يعني آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ تقدَّم في «المؤمنون»[٤] وغيرها. وقال الزَّجَّاج: ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾: ضعيف. وقال غيره: «مَّهِينٍ»: لا خَطَر له عند الناس[٥].

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ رَجَع إلى آدم، أي: سوَّى خَلْقَه ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾، ثم رجع إلى ذرِّيَّته، فقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾.

وقيل: ثم جعل ذلك الماءَ المَهينَ خَلْقاً معتدلاً، وركَّب فيه الروحَ، وأضافه إلى نَفْسِه تشريفاً، وأيضاً فإنه مِن فِعْله وخَلْقِه، كما أضاف العبدَ إليه بقوله: «عَبْدي». وعبَّر عنه بالنفخ؛ لأنَّ الروح في جنس الريح. وقد مضى هذا مبيَّناً في «النساء»[٦] وغيرها. ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: ثم أنتم لا تشكرون، بل تكفرون.

---

(١) ذكر هذا القول الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٢٠٤ ، وعنه النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢٩٢ . قال الزجاج: ولا أعلم أحداً قرأ بها.

(٢) النكت والعيون ٤/ ٣٥٥ ، وأخرجه عن ابن عباس ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥/ ١٧٢ ، وذكره النحاس في معاني القرآن ٥/ ٣٠١ .

(٣) لم نقف عليه، وأخرج عبد الرزاق في التفسير ٢/ ١٠٩ عن قتادة: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ قال: أَحْسَنَ خَلْقَ كلِّ شيء.

(٤) ١٥/ ١٧ - ١٨ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٩٢ ، وقول الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٢٠٥ .

(٦) ٧/ ٢٣٢ .

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هذا قولُ مُنْكِري البعثِ، أي: هَلَكْنا وبَطَلْنا وصِرْنا تراباً. وأصلُه من قول العرب: ضلَّ الماء في اللَّبن: إذا ذهب. والعربُ تقول للشيء غَلَبَ عليه غيرُه حتى خَفِيَ فيه أثرُه: قد ضلَّ، قال الأخطل:

كنتَ القَذَى في موجِ أكْدرَ مُزْبِدٍ قَذَفَ الأَتيُّ به فضلَّ ضلالا[١]

وقال قُطْرُب: معنى ضلَلْنا: غِبْنا[٢] في الأرض. وأنشد قولَ النابغة الذبيانيِّ:

فآبَ مُضِلُّوهُ بعينٍ جَلِيَّةٍ وغُودِرَ بالجَوْلانِ حَزْمٌ ونَائِلُ[٣]

وقرأ ابن مُحيصِن ويحيى بنُ يَعْمُر: «ضَلِلْنَا» بكسر اللَّام، وهي لغة[٤]. قال الجوهريُّ[٥]: وقد ضَلَلْتُ أضِلُّ؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ [سبأ: ٥٠]. فهذه لغةُ نجدٍ، وهي الفصيحة. وأهلُ العالية يقولون: «ضَلِلْتُ» ـ بكسر اللام ـ أضَلُّ. وهو ضالٌّ تالٌّ، وهي الضلالةُ والتلالة. وأضلَّه، أي: أضاعه وأهلكه. يقال: أُضِلَّ الميّت: إذا دُفن؛ قال: وآب[٦] مُضِلُّوه، البيت.

---

(١) ديوان الأخطل ص٥٠ . وقوله: الأتيُّ، أي: السيل الغريب. القاموس (أتى)، والكلام في تفسير الطبري ١٨/ ٦٠٢ ، والنكت والعيون ٤/ ٣٥٦ .

(٢) في (د) و(ظ): أغبنا، وفي النكت والعيون ٤/ ٣٥٦ (والكلام منه): غُيِّبنا.

(٣) النكت والعيون ٤/ ٣٥٦ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٠ ، واللسان (ضلل). وهو في ديوانه ص٩٠ برواية: مصَلُّوه. وفي الجمهرة ٣/ ٢٢٨ برواية: مصَلُّوهم. قال ابن دريد: لأنهم كانوا نصارى، ويروي الكوفيون: مُضِلُّوه. أي: دافِنوه. اهـ وقال صاحب اللسان: وقوله: بعينٍ جَلِيَّة، أي: بخبر صادق أنه مات، والجولان: موضع بالشام. أي: دُفن بدَفْن النعمان الحزمُ والعطاء. والنعمان هو ابن الحارث بن شمر الغساني، والبيت من قصيدة في رثائه.

(٤) القراءات الشاذة ص١١٨ عن يحيى بن وثاب، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٩٣ عن أبي رجاء وطلحة.

(٥) في الصحاح (ضلل).

(٦) في (م): فآب، والمثبت من النسخ الخطية والصحاح.

ابن السِّكِّيت: أضللتُ بعيري: إذا ذهب منك. وضَللت المسجدَ والدار: إذا لم تَعْرِفْ موضعَهما. وكذلك كلُّ شيءٍ مقيمٍ لا يُهتَدَى له. وفي الحديث: «لعلّي أَضِلُّ الله»[١] يريد: أضلُّ عنه، أي: أَخْفَى عليه، من قوله تعالى: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خَفِينا. وأضلَّه الله فضَلَّ؛ تقول: إنك تَهدِي الضالَّ ولا تهدي المتضالَّ.

وقرأ الأعمش والحسن: «صَلِلْنا» بالصاد، أي: أنتنَّا. وهي قراءة عليّ بن أبي طالب ﷺ[٢]. النحاس: ولا يُعرف في اللغة: صَلِلْنا، ولكن [يُعرف صَلَلْنا] يقال: صَلَّ اللحمُ وأَصَلَّ، وخَمَّ وأَخَمَّ: إذا أَنْتَن[٣]. الجوهريُّ: صلَّ اللحم يصِلُّ - بالكسر - صُلولاً، أي: أنتن، مطبوخاً كان أو نيئاً؛ قال الحُطَيئة:

ذاك فتى يَبذُل ذا قِدْرِهِ لَا يُفْسِدُ اللحمَ لديه الصُّلولْ

وأَصَلَّ مِثْلُه[٤].

﴿إِنَّا[٥] لَفي خَلْقٍ جديدٍ﴾ أي: نُخلَق بعد ذلك خَلْقاً جديداً؟ ويُقرأ: ﴿أَءِنَّا﴾[٦]. النحاس: وفي هذا سؤالٌ صعبٌ من العربية؛ يقال: ما العاملُ في «إذَا»، و«إنَّ» لا

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٠١٢) من حديث معاوية بن حيدة ﷺ في قصة الرجل الذي طلب أن يحرقوه بعد موته ثم يَذْروه، وقد سلف نحوه ١٤/ ٢٧٢ من حديث أبي هريرة.

(٢) المحتسب ٢/ ١٧٣، دون ذكر الأعمش، وزاد نسبتها لابن عباس وأبان بن سعيد بن العاص، وقال: وقرأ أيضاً بالصاد - مفتوحة اللام - الحسن بخلاف. غير أن ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٠، وأبا حيان في البحر المحيط ٧/ ٢٠٠ نسبا إليهم القراءة بفتح اللام.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٩٣، وما سلف بين حاصرتين منه، وبنحوه قول الفراء في معاني القرآن ٢/ ٣٣١. قال السمين في الدر المصون ٩/ ٨٤ - بعد أن ذكر قول النحاس -: وقد عرفها غيرُ أبي جعفر. اهـ. وقال ابن جني في المحتسب ٢/ ١٧٤: صَلَّ يَصِلُّ، وصَلَّ يَصَلُّ - بالفتح -، والكسرُ أقوى اللغتين.

(٤) الصحاح (صلل)، والبيت في شرح ديوان الحطيئة ص٧٧.

(٥) في (د) و(ظ): أينا، وهي قراءة على ما يأتي.

(٦) قرأ نافع والكسائي: «إنا». والباقون من السبعة بالاستفهام؛ كلٌّ على أصله. ينظر السبعة ص٢٨٥-٢٨٦، والتيسير ص١٣٢ - ١٣٣.

يعمل ما بَعْدَها فيما قَبْلَها؟ والسؤالُ في الاستفهام أشدُّ؛ لأنَّ ما بعدَ الاستفهام أَجْدَرُ أَلَّا يَعمَلَ فيما قبلَه من «إنَّ»، كيف وقد اجتمعا؟ فالجوابُ على قراءة مَن قرأ: «إنَّا»: أنَّ العامل «ضَلَلْنَا»، وعلى قراءة مَن قرأ: «أَئِنَّا» أنَّ العامل مضمَر، والتقدير: أَنُبعَثُ إذا مِتْنا؟ وفيه أيضاً سؤالٌ آخر، يقال: أين جوابُ «إذَا» على القراءة الأولى لأنَّ فيها معنى الشرط؟ فالقولُ في ذلك أنَّ بعدها فعلاً ماضياً؛ فلذلك جازَ هذا[(١)].

﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ أي: ليس لهم جحودُ قدرةِ الله تعالى عن الإعادة؛ لأنهم يعترفون بقدرته، ولكنهم اعتقدوا أنْ لا حسابَ عليهم، وأنَّهم لا يَلْقَوْن الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ لمَّا ذَكَر استبعادَهم للبعث؛ ذَكَر تَوفِّيهم وأنه يُعيدُهم. ﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾ مِن تَوَفّي العددَ والشيء: إذا استوفاه وقَبَضَه جميعاً. يقال: تَوفَّاه الله، أي: استوفى روحَه ثم قَبَضَه. وتَوفَّيتُ مالي من فلان، أي: استوفيته.

﴿مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ واسمه عزرائيل، ومعناه: عبد الله؛ كما تقدَّم في «البقرة»[(٢)]. وتَصرُّفُه كلُّه بأمرِ الله تعالى وبخَلْقِه واختراعه. وروي في الحديث أنَّ: «البهائم كلّها يتوفَّى الله أرواحَها دون مَلَك الموت» كأنه يعدم حياتها؛ ذكره ابن عطية[(٣)].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٩٣، والكلام بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٠٥.

(٢) ٢/ ٢٦٥. وتسمية ملك الموت بعزرائيل أمر اشتهر عند كثير من أهل التفسير، ولم ينقل في ذلك نص صحيح.

(٣) في المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٠. والحديث أخرجه بنحوه العقيلي في الضعفاء ٤/ ٣٢١، وأبو الشيخ في العظمة (١٢٣٢)، وابن الجوزي في الموضوعات (١٦٤٥) عن أنس ﷺ. قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، وقال العقيلي: هذا الحديث لا أصل له.

قلت: وقد روي خلافُه، وأنَّ مَلَك الموت يتوفَّى أرواحَ جميعِ الخلائق حتى البرغوثُ والبعوضة. روى جعفر بن محمد عن أبيه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى مَلَك الموت عند رأس رجل من الأنصار، فقال له النبيُّ ﷺ: «ارْفُقْ بصاحبي فإنَّه مؤمن» فقال مَلَك الموت عليه السلام: «يا محمد، طِبْ نَفْساً وقَرَّ عَيْناً، فإنِّي بكلِّ مؤمنٍ رفيقٌ، واعلَمْ أنَّ ما من أهلِ بيتِ مَدَرٍ ولا شعرٍ في بَرٍّ ولا بحرٍ إلَّا وأنا أَتَصفَّحُهم في كلِّ يومٍ خمسَ مرات، حتى لَأنا أَعْرَفُ بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم. والله يا محمد لو أنِّي أردتُ أن أقبضَ روحَ بعوضةٍ ما قدرتُ على ذلك حتى يكون الله هو الآمِرُ بقَبْضِها». قال جعفر بن عليٍّ: بلغني أنه يتصفَّحُهم عند مواقيت الصلوات؛ ذكره الماورديُّ[1].

وذكر الخطيب أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت البغداديُّ قال: حدَّثني أبو محمد الحسن بن محمد الخلَّالُ قال: حدَّثنا أبو محمد عبد الله بن عثمان الصفَّار قال: حدَّثنا أبو بكر حامد المصريُّ قال: حدَّثنا يحيى بنُ أيوب العلَّاف قال: حدثنا سليمان ابن مُهير الكلابيُّ قال: حضرتُ مالك بن أنس ﷺ فأتاه رجلٌ فسأله: أبا عبد الله، البراغيثُ؛ أمَلَكُ الموت يقبض أرواحها؟ قال: فأطرقَ مالك طويلاً ثم قال: ألَها أنفُسٌ؟ قال: نعم! قال: مَلَكُ الموت يقبض أرواحها؛ ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾.

قال ابن عطيةَ بعد ذِكْرِه الحديثَ[2]: وكذلك الأمرُ في بني آدم، إلَّا أنه نوعُ شُرِّفَ

(١) في النكت والعيون ٤/ ٣٧٥ ، وجعفر بن علي هو جعفر بن محمد بن علي راوي الخبر، وقد أخرجه هكذا منقطعاً أبو الشيخ في العظمة (٤٧٥)، وابن أبي حاتم كما ذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية. وأخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٢٥٤)، والبزار (٧٨٤)، والطبراني في الكبير (٤١٨٨) من طريق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن الحارث بن الخزرج الأنصاري، عن أبيه، عن النبي ﷺ. وفي إسناده عمرو بن شَمِر، قال الحافظ في الإصابة ٣/ ٩٣ : متروك الحديث.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٠ ، ويعني بالحديث حديث أنس السالف: «البهائم كلُّها يتوفى الله أرواحها...».

بتصرُّفِ مَلَكٍ وملائكةٍ معه في قَبْضِ أرواحهم.

فخَلَقَ الله تعالى مَلَك الموت، وخَلَق على يديه قَبْضَ الأرواح واسْتِلَالَها من الجسام وإخراجَها منها، وخَلَق الله تعالى جنداً يكونون معه يعملون عَمَلَه بأمره، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١] وقد مضى هذا المعنى في «الأنعام»[١]. والبارئُ خالقُ الكلِّ، الفاعِلُ حقيقةً لكلِّ فِعْلٍ؛ قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢]. ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. فملَكُ الموت يقبض، والأعوانُ يعالِجون، والله تعالى يُزْهِق الروح. وهذا هو الجمعُ بين الآيِ والأحاديث، لكنه لمَّا كان مَلَكُ الموت متولِّيَ ذلك بالوساطة والمباشَرة، أُضيف التوفِّي إليه كما أضيف الخَلْقُ للمَلَك، كما تقدَّم في «الحج»[٢].

ورُوي عن مجاهدٍ: أنَّ الدنيا بين يدي مَلَك الموت كالطَّسْتِ بين يدي الإنسان يأخذ من حيث شاء[٣]. وقد رويَ هذا المعنى مرفوعاً، وقد ذكرناه في كتاب «التذكرة»[٤]. ورويَ أنَّ مَلَك الموت لمَّا وكَّله الله تعالى بقَبْضِ الأرواح قال: ربِّ جعلتني أُذكر بسوءٍ ويشتمني بنو آدم. فقال الله تعالى له: «إنِّي أجعل للموت عِلَلاً وأسباباً من الأمراض والأسقام يَنْسِبون الموتَ إليها فلا يذكُرك أحدٌ إلَّا بخير». وقد

(١) ٨/ ٤١٠.

(٢) ١٤/ ٣١٥ - ٣١٦.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٠٩، والطبري ١٨/ ٦٠٤، وأبو الشيخ في العظمة (٤٣٥) و(٤٣٦).

(٤) ص٩٣، وذكر المصنف في هذا المعنى حديثاً عن ابن عباس في قصة الإسراء، ولم نقف عليه عند غير المصنف، وأخرج ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥/ ١٧٢ عن زهير بن محمد عن النبي ﷺ مثل خبر مجاهد، وهو منقطع.

ذكرناه في «التذكرة» مستوفًى[١] ـ وقد ذَكَرنا أنه يدعو الأرواحَ فتَجيئُه ويقبضها، ثم يُسلِّمها إلى ملائكة الرحمة أو العذاب ـ بما فيه شفاءٌ لمن أراد الوقوفَ على ذلك[٢].

الثانية: استدلَّ بهذه الآيةِ بعضُ العلماء على جواز الوكالة من قوله: ﴿وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي: بقبض الأرواح. قال ابن العربيِّ[٣]: وهذا أُخذ من لَفْظِه لا من معناه، ولو اطَّرد ذلك لقلنا في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]: إنها نيابةٌ عن الله تبارك وتعالى، ووكالةٌ في تبليغ رسالته، ولقلنا أيضاً في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: إنه وكالةٌ؛ فإنَّ الله تعالى ضَمِنَ الرزقَ لكلِّ دابَّةٍ، وخَصَّ الأغنياءَ بالأغذية، وأَوْعَزَ إليهم بأنَّ رِزْقَ الفقراء عندهم، وأَمر بتسليمه إليهم مقدَّراً[٤] معلوماً في وقتٍ معلوم، دبَّره بعلمه، وأَنْفَذه من حُكْمِه، وقدَّره بحِكْمته. والأحكامُ لا تتعلَّق بالألفاظ إلَّا أنْ تَرِد على موضوعاتها الأصليةِ في مقاصدها المطلوبة، فإنْ ظَهَرَتْ في غير مَقْصِدِها لم تُعلَّق عليها. أَلَا ترى أنَّ البيع والشراء معلومُ اللفظ والمعنى، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١] ولا يقال: هذه الآيةُ دليلٌ على جواز مبايعةِ السيد لعبده؛ لأنَّ المَقصِدَيْن مختلفان.

أَمَا إنه إذا لم يكن بدٌّ من المعاني فيقال[٥]: إنَّ هذه الآيةَ دليلٌ على أنَّ للقاضي أن يَسْتَنيبَ مَن يأخذ الحقَّ ممَّن هو عليه قسراً دون أن يكون له في ذلك فِعْلٌ، أو يرتبط به رضاً إذا وجد ذلك.

---

(١) ص٧٠، وأخرج نحوه أبو الشيخ في العظمة (٤٣٩) عن جابر بن زيد قوله.

(٢) ينظر التذكرة ص١١٩ وما بعدها، وذكر فيه المصنف حديث البراء ﷺ، وقد سلف تخريجه ٩/٢١٨ و ١٤/٣٨٧.

(٣) في أحكام القرآن ٣/١٤٨٨ - ١٤٨٥.

(٤) في (خ) و(م): مقداراً، والمثبت من باقي النسخ وأحكام القرآن لابن العربي.

(٥) العبارة في أحكام القرآن: أما إنه إذا لم يكن بدٌّ من التسوُّر على المعاني، ودفعِ الجهل عنها في غير موضعها، والإعراض عن المقاصد في ذلك فيقال.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ابتداءٌ وخبر. قال الزجّاج[١]: والمخاطبةُ للنبيِّ ﷺ مخاطبةٌ لأمته. والمعنى: ولو ترى يا محمدُ مُنْكِري البعثِ يومَ القيامة لرأيتَ العجبَ. ومذهبُ أبي العباس غيرُ هذا، وأن يكون المعنى: يا محمدُ، قل للمجرم: ولو ترى إذ المجرمون ناكِسو رؤوسهم عند ربِّهم لندمتَ على ما كان منك[٢].

﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ أي: من النَّدم والخِزْي والحُزن والذُّلِّ والغمِّ ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: عند محاسبةِ ربِّهم وجزاءِ أعمالهم .﴿رَبَّنَآ﴾ أي: يقولون: ربَّنا ﴿أَبْصَرْنَا﴾ أي: أبْصَرنا ما كنَّا نكذِّب ﴿وَسَمِعْنَا﴾ ما كنَّا نُنْكِر. وقيل: ﴿أَبْصَرْنَا﴾ صِدْقَ وَعيدك ﴿وَسَمِعْنَا﴾ تصديقَ رُسُلك، أبْصَرُوا حين لا ينفعهم البصر، وسمعوا حين لا ينفعهم السمع.

﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ أي: إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أي: مصدِّقون بالبعث؛ قاله النقَّاش. وقيل: مصدِّقون بالذي جاء به محمدٌ ﷺ أنه حقٌ؛ قاله يحيى بن سلام. قال سفيان الثوريُّ: فأكْذَبهم الله تعالى فقال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨][٣].

وقيل: معنى «إِنَّا مُوقِنُونَ» أي: قد زالت عنَّا الشُّكوكُ الآن، وكانوا يسمعون ويُبصرون في الدنيا، ولكن لم يكونوا يتدبَّرون، وكانوا كَمَن لا يُبْصِر ولا يسمع، فلمَّا تنبَّهوا في الآخرة صاروا حينئذٍ كأنهم سمعوا وأبصروا.

وقيل: أي: ربَّنا لك الحجةُ، فقد أبْصَرنا رسلك وعجائبَ خَلْقِك في الدنيا،

---

(١) في معاني القرآن ٤/ ٢٠٦، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢٩٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٩٤، وأبو العباس هو محمد بن يزيد المبرِّد.

(٣) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٣٥٩.

وسمعنا كلامهم، فلا حجةَ لنا. فهذا اعترافٌ منهم، ثم طلبوا أن يُردُّوا إلى الدنيا ليؤمنوا.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾

قال محمد بن كعب القُرَظيُّ: لمَّا قالوا: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ ردَّ عليهم بقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ يقول: لو شئتُ لهديتُ الناسَ جميعاً فلم يَخْتلِفْ منهم أحدٌ ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ الآية. ذكره ابن المبارك في «رقائقه» في حديثٍ طويل. وقد ذكَرناه في «التذكرة»[(١)].

النحَّاس[(٢)]: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ في معناه قولان: أحدهما: أنه في الدنيا. والآخَر: أنَّ سياق الكلام يدلُّ على أنه في الآخرة، أي: لو شئنا لردَدْناهم إلى الدنيا والمحنةِ كما سألوا ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: حقَّ القولُ منِّي لأعذِّبنَّ مَن عصاني بنارِ جهنَّم. وعَلِم الله تبارك وتعالى [أنه] لو ردَّهم لعادوا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

وهذه الهدايةُ معناها خَلْقُ المعرفةِ في القلب. وتأويلُ المعتزلة: ولو شئنا لأكْرهناهم على الهداية بإظهارِ الآيات الهائلة، لكنْ لا يَحْسُنُ منه فِعْلُه؛ لأنه يَنْقُض الغرضَ المُجْرَى بالتكليف إليه، وهو الثوابُ الذي لا يُستحقُّ إلَّا بما يفعله المكلَّف باختياره[(٣)].

---

(١) ص٤١٧، وقد ذكره المصنف فيه بتمامه، وورد بعضه في الزهد لابن المبارك ص٩١ (زوائد نعيم) وسقط معظمه بسبب سقط ورقة من الأصل كما ذكر محققه. وأخرجه من طريق ابن المبارك الطبري ١١٩/١٧.

(٢) في إعراب القرآن ٣/ ٢٩٤، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٣) قاله الزمخشري في الكشاف ٣/ ٢٤٢.

وقالت الإماميَّة في تأويلها[١]: إنه يجوز أنْ يريد هُداها إلى طريق الجنة في الآخرة ولم يعاقب أحداً، لكنْ حقَّ القولُ منه أنه يملأ جهنم، فلا يجب على الله تعالى عندنا هدايةُ الكلِّ إليها، قالوا: بل الواجبُ هدايةُ المعصومين، فأمَّا مَن له ذنبٌ فجائزٌ هدايته إلى النار جزاءً على أفعاله.

وفي جواز ذلك مَنْعٌ؛ لقَطْعِهم على أنَّ المراد: هُداها إلى الإيمان.

وقد تكلَّم العلماء عليهم في هذين التأويلين بما فيه كفايةٌ في أصول الدين. وأقربُ ما لهم في الجواب أنْ يقال: فقد بَطَل عندنا وعندكم أنْ يهديَهم الله سبحانه على طريق الإلجاءِ والإجبار[٢] والإكراه، فصار يؤدِّي ذلك إلى مذهب الجَبْريَّة، وهو مذهبٌ رَذْلٌ عندنا وعندكم، فلم يبق إلَّا أنَّ المهتدين من المؤمنين إنَّما هَداهم الله تعالى إلى الإيمان والطاعة على طريق الاختيار حتى يصحَّ التكليفُ، فَمَن شاء آمَنَ وأطاع اختياراً لا جَبْراً؛ قال الله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]، وقال: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٩]. ثم عقَّب هاتين الآيتين بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠، والتكوير: ٢٩]. فوقع إيمانُ المؤمنين بمشيئتهم، ونَفَى أن يشاؤوا إلَّا أن يشاء الله، ولهذا أفرَطَتْ[٣] المُجْبرةُ لمَّا رأَوْا أنَّ هدايتهم إلى الإيمان معذوقٌ[٤] بمشيئة الله تعالى، فقالوا: الخَلْقُ مجبورون في طاعتهم كلِّها، التفاتاً إلى قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾. وفرَّطت القدريةُ لمَّا رأوا أنَّ هدايتهم إلى الإيمان معذوقٌ بمشيئة العباد، فقالوا: الخَلْقُ خالقون لأفعالهم، التفاتاً منهم إلى قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾.

---

(١) الكلام من هذا الموضع حتى آخر تفسير الآية من حز الغلاصم لشيث بن إبراهيم ص٨٦ - ٨٨.

(٢) في حز الغلاصم: على طريق الإلجاء؛ لأن الإلجاء هو الإجبار...

(٣) في النسخ: فرطت، والمثبت من حز الغلاصم.

(٤) في (ظ): أن هدايتهم مقرونة.

ومذهبُنا هو الاقتصادُ في الاعتقاد، وهو مذهبٌ بين مَذْهَبَي المُجْبرةِ والقدرية، وخيرُ الأمور أوساطُها. وذلك أنَّ أهل الحقِّ قالوا: نحن نفرِّق بين ما اضطُرِرْنا إليه وبين ما اخْتَرْناه، وهو أنَّا نُدْرِكُ تَفْرِقةً بين حركة الارتعاش الواقعةِ في يد الإنسان بغيرِ مُحاولتِه وإرادتِه ولا مقرونة بقُدْرَته، وبين حركةِ الاختيار إذا حرَّك يده حركةً مماثلةً لحركة الارتعاش. ومَن لا يفرِّق بين الحركتين: حركةِ الارتعاش وحركة الاختيار ـ وهما موجودتان في ذاته، ومحسوستان في يده بمشاهدته وإدراكِ حاسَّته ـ فهو معتوهٌ في عقله، ومختلٌّ في حِسِّه، وخارجٌ من حِزْب العقلاء. وهذا هو الحقُّ المُبين، وهو طريقٌ بين طريقي الإفراطِ والتفريط، و:

كِلَا طَرَفَيْ قَصْدِ الأمور ذَمِيمُ[1]

وبهذا الاعتبارِ اختارَ أهلُ النَّظر من العلماء أنْ سَمَّوْا هذه المنزلةَ بين المنزلتين كَسْباً[2]، وأخذوا هذه التسميةَ من كتاب الله العزيز، وهو قوله سبحانه: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٤﴾

قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه من النسيان الذي لا ذِكْرَ معه، أي: لم يعملوا لهذا اليوم، فكانوا بمنزلةِ النَّاسِين. والآخَر: أنَّ ﴿نَسِيتُمْ﴾ بمعنى[3] تركتُم، وكذا ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْۖ﴾؛ واحتجَّ محمد بنُ يزيد بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ [طه: ١١٥] قال: والدليلُ على

---

(١) سلف ٧/ ٢٢٩ عن الإمام حَمْد بن محمد الخطابي، وصدره: ولا تَغْلُ في شيءٍ من الأمر واقْتَصِدْ. وإنما ضمَّنه الخطابي في شعره، كما ذكر البغدادي في الخزانة ٢/ ١٢٢ - ١٢٣ ، حيث ذكر صدره برواية ثانية وقرن به بيتاً آخر وقال: وكمله بالمصاريع الثلاثة صاحب العباب في شرح أبيات الآداب (وهو حسن بن صالح العدوي اليمني) وقال البغدادي: ولا أعلم قائل هذين البيتين، ولا رأيتهما إلا في كتاب العباب.

(٢) مذهب الأشاعرة في مسألة الكسب يؤول إلى سلب الإرادة عن العبد والوقوع في مذهب المجبِرة.

(٣) في النسخ: بما، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٩٤ ، والكلام منه.

أنَّه بمعنى تَرَكَ أنَّ الله عزَّ وجلَّ أخبر عن إبليس أنه قال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ [الأعراف: ٢٠] فلو كان آدم ناسياً لكان قد ذكَّره، وأنشد:

كـأنـه خـارجـاً مـن جَـنْـبِ صَـفْـحَـتِـهِ سَـفُّـودُ شَـرْبٍ نَـسُـوهُ عـنـد مُـفْـتَـأَدِ[١]

أي: تركوه. ولو كان من النِّسيان لكانوا[٢] قد عملوا به مرَّةً.

قال الضحَّاك: «نَسِيتُمْ» أي: تركتُم أمري. يحيى بن سلام: أي: تركتُم الإيمان بالبعث في هذا اليوم. ﴿نَسِينَٰكُمْ﴾: تركناكم من الخير؛ قاله السُّدّي. مجاهد: تركناكم في العذاب[٣].

وفي استئناف قوله: ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ وبناءِ الفعل على «إنَّ» واسمِها تشديدٌ في الانتقام منهم. والمعنى: فذوقوا هذا، أي: ما أنتم فيه من نَكْسِ الرؤوس والخِزي والغَمِّ بسبب نسيان الله. أو: ذوقوا العذاب المخلَّد، وهو الدائم الذي لا انقطاعَ له في جهنم.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يعني في الدنيا من المعاصي. وقد يعبَّر بالذَّوق عما يطرأ على النفس وإن لم يكن مطعوماً؛ لإحساسها به كإحساسها بذوقِ المطعوم؛ قال عمر بن أبي ربيعة[٤]:

فـذُقْ هَـجْـرَهـا إنْ كـنـتَ تَـزْعُـم أنَّـه رشـادٌ[٥] ألَا يـا ربَّـمـا كَـذَبَ الـزَّعْـمُ

---

(١) البيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص٣٢، والخزانة ٣/ ١٨٥ وفيه: الهاء في «كأنه» عائدة على قرن ثور مذكورٍ قبلاً، وخارجاً حال من الهاء، والضمير في صفحته عائد على كلب مذكورٍ قبلاً، والسَّفُّود خبر كأن، وهي الحديدة التي يشوى بها الكباب، شبَّه قرنَ الثور النافذَ من الكلب عندما ضربه به بسَفُّود فيه شواءٌ. والمفتأد المشتَوَى والمطبخ، وهو محل الفَأْد، وهو الطبخ والنضج.

(٢) في النسخ: لكان، والمثبت من إعراب القرآن.

(٣) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٣٦٠.

(٤) كذا نقل المصنف عن الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٣٦٠، والكلام منه، والذي في المصادر أنه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، كما في مجالس ثعلب ص٢٣٦، وأمالي القالي ٢/ ٢٠، والأغاني ٩/ ١٥٠، ومصارع العشاق ١/ ٣٢١، واللسان (زعم)، والخزانة ٩/ ١٣٣.

(٥) في النسخ: أنها فساد، والمثبت من النكت والعيون، وهو موافق للمصادر.

الجوهريُّ[(١)]: وذُقْت ما عند فلان، أي: خَبِرْتُه. وذُقْتُ القَوْس: إذا جَذَبتَ وَتَرَها لتَنْظُر ما شِدَّتُها. وأذاقه الله وَبالَ أمره؛ قال طُفيل:

فذوقوا كما ذُقنا غَداة مُحَجِّرٍ من الغيظ في أكبادِنا والتَّحَوُّبِ[(٢)]

وتذوَّقته، أي: ذُقْتُه شيئاً بعد شيء. وأمرٌ مُسْتَذاقٌ، أي: مجرَّبٌ معلوم؛ قال الشاعر:

وعهدُ الغانيات كعهدِ قَيْنٍ وَنَتْ عنه الجعائل مُسْتذاقِ[(٣)]

والذوَّاق: المَلُول.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝١٥﴾

هذه تسليةٌ للنبيِّ ﷺ، أي: إنَّهم لإلْفِهم الكفرَ لا يؤمنون بك، إنَّما يؤمنُ بك وبالقرآن المتدبِّرون له والمتَّعِظون به، وهم الذين إذا قُرئ عليهم القرآن ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾ قال ابن عباس: ركَّعاً ـ قال المهدويُّ: وهذا على مذهب مَن يرى الركوعَ عند قراءةِ السَّجدة ـ واستدلَّ بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤][(٤)].

وقيل: المرادُ به السُّجود، وعليه أكثرُ العلماء، أي: خَرُّوا سُجَّداً لله تعالى على وجوههم تعظيماً لآياته وخَوْفاً من سَطْوته وعذابه.

﴿وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: خَلَطوا التسبيح بالحمد، أي: نزَّهوه وحَمِدوه، فقالوا في سجودهم: سبحان الله وبحمده، سبحان ربِّيَ الأعلى وبحمده، أي: تنزيهاً

(١) في الصحاح (ذوق).

(٢) سلف ٦/ ٢٣ ، وطفيل هو ابن عوف الغَنَوي.

(٣) قائله نهشل بن حَرِّيّ، كما في الحيوان ٥/ ٣٠ ، وأمالي المرتضى ٢/ ٢٢٧ ، وتهذيب اللغة ٩/ ٢٦٣ ، وأساس البلاغة (ذوق)، ومنتهى الطلب ٨/ ١٧ ، واللسان (ذوق). قال المرتضى: القين: الحدَّاد، والجعائل جمع جعالة، وهي أجرته، أراد: أن القين إذا عدم الجُعالة؛ رحل ولم يستقرَّ في مكان.

(٤) ذكر خبر ابن عباس ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٣٦١ .

لله تعالى عن قول المشركين. وقال سفيان: ﴿وَسَبَّحُوا۟ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ أي: صَلَّوا حَمْداً لربِّهم. ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ عن عبادته؛ قاله يحيى بن سلام. النقَّاش: لا يَسْتَكْبِرون كما اسْتَكْبَر أهلُ مكة عن السجود(١).

قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ أي: ترتفع وتَنْبُو عن مواضع الاضطجاع. وهو في موضعِ نصبٍ على الحال، أي: مُتجافيةً جنوبُهم. والمضاجعُ جمعُ مَضْجَع، وهي مواضع النوم. ويَحتمِلُ: عن وقتِ الاضطجاع، ولكنَّه مَجازٌ، والحقيقةُ أَوْلى. ومنه قولُ عبد الله بن رَوَاحة:

وفينا رسولُ الله يتلو كتابَه ... إذا انشقَّ معروفٌ من الصبحِ ساطِعُ
يبيتُ يُجافي جَنْبَه عن فراشه ... إذا استثقلتْ بالمشركين المَضَاجِعُ(٢)

قال الزجَّاج والرُّمَّانيّ: التَّجافي: التَّنحِّي إلى جهةِ فوق. وكذلك هو في الصَّفْح عن المخطئ في سَبٍّ ونحوِه. والجُنوبُ جمعُ جَنْب(٣).

وفيما تتجافَى جنوبُهم عن المضاجع لأَجلِه قولان: أحدهما: لذكرِ الله تعالى، إمَّا في صلاةٍ، وإمَّا في غيرِ صلاة؛ قاله ابن عباس والضحاك. الثاني: للصلاة(٤).

وفي الصلاة التي تتجافَى جُنوبُهم لأَجْلها أربعةُ أقوال:

---

(١) النكت والعيون ٤/ ٣٦١ .

(٢) سلف البيتان ٦/ ٣٤٦ باختلاف يسير في البيت الأول، وهما بهذه الرواية في صحيح البخاري (١١٥٥) حيث أخرج من طريق الهيثم بن أبي سنان: أنه سمع أبا هريرة ﷺ ـ وهو يَقْصُصُ في قَصَصه ـ وهو يذكر رسول الله ﷺ: إنَّ أخاً لكم لا يقول الرَّفَثَ. يعني بذلك عبد الله بن رواحة، ثم ذكر ثلاثة أبيات منها هذان البيتان.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٢ ، وقول الزجاج بنحوه في معاني القرآن ٤/ ٢٠٧ .

(٤) النكت والعيون ٤/ ٣٦١ - ٣٦٢ ، وأخرج قول ابن عباس والضحاك الطبري ١٨/ ٦١٢ - ٦١٣ .

أحدها: التَّنفُّلُ بالليل؛ قاله الجمهور من المفسِّرين، وعليه أكثرُ الناس، وهو الذي فيه المدحُ[(١)]، وهو قولُ مجاهدٍ والأوزاعيِّ ومالك بنِ أنس والحسن بنِ أبي الحسن وأبي العالية وغيرهم[(٢)]. ويدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ لأنَّهم جُوْزُوا على ما أَخْفَوْا بما خَفِي، والله أعلم. وسيأتي بيانُه.

وفي قيام الليل أحاديثُ كثيرةٌ؛ منها حديثُ معاذ بن جَبَل أنَّ النبيَّ ﷺ قال له: «أَلَا أَدُلُّك على أبوابِ الخير: الصومُ جُنَّة، والصَّدقةُ تُطْفِئُ الخطيئةَ كما يُطْفِئُ الماءُ النارَ، وصلاةُ الرجلِ من جَوْفِ الليل» قال: ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ حتى بلغ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ أخرجه أبو داود الطَّيالسيُّ في «مسنده»، والقاضي إسماعيل بنُ إسحاق، وأبو عيسى الترمذيُّ وقال فيه: حديثٌ حسنٌ صحيح[(٣)].

الثاني: صلاةُ العشاء التي يقال لها: العتمة؛ قاله الحسن وعطاء[(٤)]. وفي الترمذيِّ عن أنس بن مالك: أنَّ هذه الآيةَ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ نزلت في انتظارِ الصلاة التي تُدْعَى: العَتَمَة، قال: هذا حديثٌ حسنٌ [صحيح] غريب[(٥)].

الثالث: التَّنفُّل ما بين المغرب والعشاء؛ قاله قتادةُ وعكرمة[(٦)]. وروى أبو داود[(٧)] عن أنس بن مالك: أنَّ هذه الآيةَ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ قال: كانوا يتنفَّلون ما بين المغرب والعشاء.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٢.

(٢) النكت والعيون ٤/ ٣٦٣، وأخرجه عن الحسن أبو داود (١٣٢١)، وعبد الرزاق في التفسير ٢/ ١١٠، والطبري ١٨/ ٦١٢ عنه وعن مجاهد.

(٣) سنن الترمذي (٢٦١٦)، ومسند الطيالسي (٥٦٠)، وهو عند أحمد (٢٢٠١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣).

(٤) النكت والعيون ٤/ ٣٦٣.

(٥) سنن الترمذي (٣١٩٦)، وما بين حاصرتين منه، وهو موافق لما في تحفة الأشراف ١/ ٤٢٩، وتحفة الأحوذي ٩/ ٥٥.

(٦) النكت والعيون ٤/ ٣٦٣.

(٧) في سننه (١٣٢١)، وأخرجه الطبري ١٨/ ٦٠٩ - ٦١١.

الرابع: قال الضحاك: تَجَافي الجَنْبِ: هو أن يصلِّي الرجل العشاء والصبح في جماعة. وقاله أبو الدَّرداء وعُبادة[١].

قلت: وهذا قولٌ حَسَنٌ، وهو يجمع الأقوال بالمعنى، وذلك أنَّ مُنتظِرَ العشاءِ ـ إلى أنْ يصلِّيَهَا ـ في صلاةٍ وذكرٍ لله جلَّ وعزَّ، كما قال النبيُّ ﷺ: «لا يَزالُ الرجلُ في صلاةٍ ما انْتظَر الصلاة»[٢]. وقال أنس: المرادُ بالآية انتظارُ صلاة العشاء الآخِرة؛ لأنَّ رسول الله ﷺ كان يؤخِّرها إلى نحوِ ثُلُثِ الليل، قال ابن عطيةَ[٣]: وكانت الجاهليةُ ينامون مِن أوَّل الغروب ومن أيِّ وقتٍ شاء الإنسان، فجاء انتظارُ وقتِ العشاء غريباً شاقًّا.

ومصلِّي الصبحِ في جماعةٍ لاسيَّما في أوّل الوقت كما كان عليه الصلاة والسلام يصلِّيها. والعادةُ أنَّ مَن حافَظَ على هذه الصلاة في أوّل الوقت، يقومُ سَحَراً يتوضَّأ ويصلِّي ويذكر الله عزَّ وجلَّ إلى أنْ يَطْلعُ الفجر. فقد حَصَل التَّجافي أوَّلَ الليل وآخِرَه. يَزِيدُ هذا ما رواه مسلم من حديث عثمان بن عفان قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن صلَّى العشاءَ في جماعةٍ فكأنَّما قامَ نصفَ اللَّيل، ومَن صلَّى الصُّبحَ في جماعةٍ فكأنَّما قامَ اللَّيلَ كلَّه»[٤]. ولفظُ الترمذيِّ وأبي داودَ في هذا الحديث: «مَن شَهِدَ العشاءَ في جماعةٍ كان له قيامُ نصفِ ليلةٍ، ومَن صلَّى العشاءَ والفَجْرَ في جماعةٍ كان له كقيامِ ليلة»[٥]. وقد مضى في سورة النور عن كعب فيمَن صلَّى بعدَ العشاءِ الآخِرة

---

(١) ذكره عن الضحاك ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٢ ، وعن أبي الدرداء وعبادة الماورديُّ في النكت والعيون ٤/ ٣٦٣ ، والبغوي ٣/ ٥٠٠ . قال ابن عطية: وهذا قول حسن يساعده لفظ الآية.

(٢) قطعة من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه البخاري (٦٤٧).

(٣) في المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٢ ، وما قبله منه، وخبر أنس ﷺ سلف بنحوه قريباً. وأحاديث تأخير النبي ﷺ لصلاة العشاء سلفت ٢/ ٤٥٢ .

(٤) صحيح مسلم (٦٥٦)، وسلف ٤/ ١٨٠ - ١٨١ ، و١٥/ ٣٣٧ .

(٥) سنن الترمذي (٢٢١)، وسنن أبي داود (٥٥٥)، وسلف ٤/ ١٨١ .

أربعَ ركعاتٍ كنَّ له بمنزلةِ ليلةِ القَدْر(١).

وجاءت آثارٌ حِسَانٌ في فَضْلِ الصلاة بين المغرب والعشاء وقيامِ الليل. ذكر ابن المبارك قال: أخبرنا يحيى بن أيوب قال: حدَّثني محمد بن الحجاج ـ أو ابن أبي الحجاج ـ أنه سمع عبد الكريم يحدِّث: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن ركع عَشْرَ ركعاتٍ بين المغرب والعشاء بُنِيَ له قصرٌ في الجنة». فقال له عمر بن الخطاب: إذاً تَكْثُر قصورُنا وبيوتُنا يا رسولَ الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله أكثرُ(٢) وأفضلُ» أو قال: «أَطْيبُ»(٣).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال: صلاةُ الأوَّابين الخلوةُ التي بين المغرب والعشاء حتى يثوبَ الناس إلى الصلاة(٤).

وكان عبد الله بن مسعود يصلِّي في تلك الساعةِ ويقول: [نِعْمَ] صلاةُ الغفلةِ بين المغرب والعشاء؛ ذكره ابن المبارك(٥).

ورواه الثعلبيُّ مرفوعاً عن ابن عمر قال: قال النبيُّ ﷺ: «مَن جَفَتْ جَنْباهُ عن المَضَاجِع ما بينَ المغربِ والعشاءِ؛ بُنِيَ له قصران في الجنة مسيرةَ عام، وفيهما من

---

(١) ينظر ١٥/ ٣٣٧ - ٣٣٨.

(٢) في (د) و(م): أكبر.

(٣) الزهد لابن المبارك (١٢٦٤) دون قوله: أو ابن أبي الحجاج، وعبد الكريم هو ابن الحارث، وهذا إسناد منقطع. كما أن محمد بن الحجاج اللخمي قال عنه البخاري: منكر الحديث. وقال ابن عدي: هو وضع حديث الهريسة. وقال الدارقطني: كذاب. الميزان ٣/ ٥٠٩.

(٤) الزهد لابن المبارك (١٢٦٠)، وفي إسناده موسى بن عبيدة بن نشيط، قال عنه الحافظ في التقريب: ضعيف.

(٥) في الزهد (١٢٦١)، وما سلف بين حاصرتين منه. وأخرجه أيضاً عبد الرزاق (٤٧٢٥)، والطبراني في الكبير (٩٤٥٠). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٢٣٠: فيه جابر الجعفي، وفيه كلام كثير. اهـ. وقال عنه الحافظ في التقريب: ضعيف. وأخرجه الطبراني (٩٤٤٩) بإسناد آخر عن ابن مسعود. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٢٣٠: فيه ليث بن أبي سليم، وفيه كلام. اهـ. وقال عنه الحافظ في التقريب: صدوق اختلط جدًّا ولم يتميز حديثه فتُرك.

الشجر ما لو نَزَلَها أهلُ المشرقِ والمغرب لأَوْسَعتْهم فاكهةً»(١). وهي صلاةُ الأوَّابين وغَفْلة الغافلين، وإنَّ من الدعاء المستجابِ الذي لا يُردُّ الدعاءَ بين المغرب والعشاء.

فصل في فضل التَّجافي: ذكر ابن المبارك عن ابن عباس قال: إذا كان يومُ القيامة نادى منادٍ: ستعلمون اليومَ مَن أصحابُ الكَرَم؛ لِيَقُمِ الحامِدون لله على كلِّ حال. فيقومون فيُسَرَّحون إلى الجنة. ثم ينادي ثانيةً: ستعلمون اليومَ مَن أصحابُ الكَرَم؛ لِيَقُمِ الذين كانت جنوبُهم تتجافى عن المضاجع ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾. قال: فيقومون فيُسَرَّحون إلى الجنة. قال: ثم ينادي ثالثةً: ستعلمون اليوم مَن أصحابُ الكرم؛ لِيَقُمِ الذين كانوا ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧]، فيقومون فيسرَّحون إلى الجنة(٢).

ذكره الثعلبيُّ مرفوعاً عن أسماء بنتِ يزيد: قال النبيُّ ﷺ: «إذا جَمَعَ الله الأوَّلين والآخِرين يومَ القيامة جاء منادٍ فنادى بصوتٍ تسمعه الخلائقُ كلُّهم: سيعلم أهلُ الجمع اليومَ مَن أَوْلى بالكَرَمِ، لِيَقُمِ الذين كانت تتجافى جنوبُهم عن المضاجع. فيقومون وهم قليل، ثم ينادي الثانيةَ: ستعلمون اليوم مَن أوْلَى بالكرم؛ لِيَقُمِ الذين لا تُلهِيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذِكْر الله. فيقومون، ثم ينادي الثالثةَ: ستعلمون اليوم مَن أَوْلى بالكرم؛ لِيَقُمِ الحامِدون لله على كلِّ حال في السَّرَّاء والضرَّاء. فيقومون وهم قليل، فيسرَّحون جميعاً إلى الجنة، ثم يحاسَبُ سائرُ الناس»(٣).

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) الزهد (٣٥٣ - زوائد نعيم)، وأخرجه أيضاً الحارث بن أبي أسامة كما في بغية الباحث (١١٢٢)، وحسن إسناده الحافظ في المطالب العالية ٤/ ٣٧٥، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٨٠.

(٣) أخرجه هناد في الزهد (١٧٦)، وأبو الليث في التفسير ٣/ ٣٠ من طريق عبد الرحمن بن إسحاق، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد به. وعبد الرحمن بن إسحاق الواسطي ضعيف كما ذكر الحافظ في التقريب. وأخرجه عبد بن حميد (١٥٨١) من طريق أبان بن أبي عياش عن شهر بن حوشب به. وأبان متروك، كما ذكر الحافظ في التقريب. وأخرجه بنحوه الحاكم ٢/ ٣٩٨ - ٣٩٩ من طريق عبد الله بن =

وذكر ابن المبارك قال: أخبرنا مَعْمَر، عن رجل، عن أبي العلاء بن الشِّخِّير، عن أبي ذرّ قال: ثلاثةٌ يَضْحَك الله إليهم ويَستبشرُ الله بهم: رجلٌ قام من الليل وترك فراشَه ودِفْئه، ثم توضَّأ فأَحْسَنَ الوضوء، ثم قام إلى الصلاة، فيقولُ الله لملائكته: ما حَمَلَ عبدي على ما صَنَع؟ فيقولون: ربَّنا أنت أَعْلَمُ به منَّا. فيقول: أنا أعلمُ به ولكنْ أَخْبِروني. فيقولون: رَجَّيته شيئاً فَرَجَاه، وخوَّفْتَه فخافه. فيقول: أُشْهِدُكم أنِّي قد أَمَّنتُه مما خاف، وأَوْجَبْتُ له ما رَجَاه. قال: ورجلٌ كان في سَرِيَّةٍ فلقيَ العدوَّ، فانهزم أصحابه وثَبَتَ هو حتى يُقتَلَ أو يَفْتح الله عليهم، فيقول الله لملائكته مثلَ هذه القصة. ورجل سَرَى في ليلةٍ، حتى إذا كان في آخِر الليل نزل هو وأصحابه، فنام أصحابه وقام هو يصلِّي، فيقول الله لملائكته...» وذكر القصة[1].

قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ في موضعِ نصبٍ على الحال، أي: داعِينَ. ويَحتَمِل أن تكون صفةً مُستأنَفَةً، أي: تتجافى جنوبُهم وهم أيضاً في كلِّ حالٍ يدعون ربَّهم لَيْلَهم ونهارَهم[2]. و﴿خَوْفًا﴾ مفعولٌ من أجلِه. ويجوز أن يكون مصدراً. ﴿وَطَمَعًا﴾ مثله، أي: خوفاً من العذاب، وطمعاً في الثواب. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ تكونُ «ما» بمعنى الذي، وتكونُ مصدراً، وفي كِلَا الوجهين يجب أن تكون منفصلةً من «مِن»[3].

= عطاء عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ وصححه. غير أن عبد الله بن عطاء لم يدرك عقبة بن عامر، كما ذكر المِزِّي في تهذيب الكمال ١٥/ ٣١٢.

(١) الزهد لابن المبارك (١٢١٢). وأخرجه عبد الرزاق (٢٠٢٨٢) عن معمر، عن سعيد الجريري، عن أبي العلاء به. وأخرجه بنحوه الطبراني مرفوعاً من حديث أبي الدرداء ﷺ كما في مجمع الزوائد ٢/ ٢٥٥. قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٩٥. و«ما» في هذا الموضع موصولة بـ«مِن» في رسم المصحف، وذكر أبو عمرو الداني في المقنع ص٦٩: أن «من ما» مقطوعة في ثلاثة مواضع: الآية (٢٥) من سورة النساء، والآية (٢٨) من سورة الروم، والآية (١٠) من سورة المنافقين.

و«يُنْفِقُون» قيل: معناه الزكاةُ المفروضة. وقيل: النوافل، وهذا القولُ أَمْدَحُ[١].

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾

قرأ حمزةُ: ﴿ما أُخْفِيْ لهم﴾ بإسكان الياء. وفتَحَها الباقون[٢]. وفي قراءةِ عبد الله: «ما نُخْفي» بالنون مضمومة[٣]. وروى المفضَّل عن الأعمش: «ما يُخْفَى لهم» بالياء المضمومةِ وفَتْحِ الفاء[٤]. وقرأ ابن مسعود وأبو هريرة: «مِن قُرَّاتِ أَعْيُن»[٥].

فمَنْ أَسْكَنَ الياءَ مِن قوله: «ما أُخفِيْ» فهو مستقبَلٌ، وألفُه ألفُ المتكلِّم، و«ما» في موضعِ نصبٍ بـ«أُخفي» وهي استفهام، والجملةُ في موضع نصب؛ لوقوعها موقعَ المفعولَيْنِ[٦]، والضميرُ العائدُ على «ما» محذوف[٧].

ومَن فَتَح الياءَ فهو فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ للمفعول، و«ما» في موضع رفعٍ بالابتداء، والخبرُ «أُخْفيَ» وما بعده، والضميرُ في «أُخْفيَ» عائدٌ على «ما»[٨].

قال الزجَّاج: ويُقرأ: «ما أَخْفَى لهم»، بمعنى: ما أَخْفَى الله لهم[٩]. وهي قراءةُ

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٢ .

(٢) السبعة ص٥١٦ ، والتيسير ص١٧٧ .

(٣) القراءات الشاذة ص١١٨ .

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٢ .

(٥) المحتسب ٢/ ١٧٤ .

(٦) الكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٥٦٨ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٩٣ - ١٩٤ .

(٧) وهذا إذا جعلنا «ما» موصولة بمعنى الذي، فـ«ما» يجوز أن تكون استفهامية كما سلف، ويجوز أن تكون موصولة ويكون العائد محذوفاً، والتقدير: أخفيه، وتكون «ما» في موضع نصب بـ«تعلم». مشكل إعراب القرآن ٢/ ٥٦٨ - ٥٦٩ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٢ ، والدر المصون ٩/ ٨٧ - ٨٨ .

(٨) ويجوز في «ما» الوجهان على هذه القراءة أيضاً، فإن كانت استفهامية فهي في موضع رفع بالابتداء، وإن كانت موصولة فهي في موضع نصب بـ«تعلم»، والعائد هو الضمير المرفوع في «أُخفيَ». ينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٥٦٨ - ٥٦٩ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦٢ .

(٩) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٠٨ .

محمد بنِ كعب[١]، و«ما» في موضعِ نصب.

المهدوِيُّ: ومَن قرأ: «قرَّات أعين» فهو جمعُ قُرَّة، وحَسُنَ الجمعُ فيه لإضافته إلى جمع، والإفرادُ لأنَّه مصدر، وهو اسمٌ للجنس.

وقال أبو بكر الأنبارِيُّ: وهذا غيرُ مخالفٍ للمصحف؛ لأنَّ تاء «قُرَّة» تكتَبُ تاءً على لغةِ مَن يُجري الوصلَ على الوقف، كما كتبوا: «رحمت الله» بالتاء. ولا يُستنكر سقوطُ الألفِ من «قُرَّات» في الخطّ، وهو موجودٌ في اللَّفْظ، كما لم يُستنكَر سقوطُ الألف من السماوات، وهي ثابتةٌ في اللسان والنُّطق.

والمعنى المرادُ: أنه أَخبر تعالى بما لهم من النعيم الذي لم تَعْلَمْه نفسٌ ولا بشرٌ ولا مَلَك. وفي معنى هذه الآيةِ قال النبيُّ ﷺ: «قال الله عزَّ وجلَّ: أَعْدَدْتُ لعبادي الصَّالحينَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خَطَر على قَلْبِ بشر» ثم قرأ هذه الآية: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ إلى قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. خرَّجه الصَّحيح من حديثِ سهل بن سعد الساعديّ[٢].

وقال ابن مسعود: في التوراة مكتوبٌ: على الله للذين تتجافى جنوبُهم عن المضاجع ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خَطَرَ على قلبِ بشر[٣]. وقال ابن عباس: الأمرُ في هذا أجلُّ وأعظمُ من أن يُعرف تفسيره[٤].

قلت: وهذه الكرامةُ إنَّما هي لأعلى أهلِ الجنة منزلاً، كما جاء مبيَّناً في «صحيح» مسلم[٥] عن المغيرة بنِ شُعبةَ يرفعُه إلى رسول الله ﷺ قال: «سأل موسى

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٢.

(٢) صحيح مسلم (٢٨٢٥)، وهو عند أحمد (٢٢٨٢٦).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١١٢، والطبري ١٨/ ٦١٧.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ٣/ ٤٥٣.

(٥) برقم (١٨٩): (٣١٢).

عليه السلام ربَّه فقال: يا ربِّ، ما أدنى أهلِ الجنةِ منزلةً؟ قال: هو رجلٌ يأتي بعدما يُدخَل أهلُ الجنة الجنةَ، فيقال له: ادخُل الجنةَ. فيقول: أيْ ربِّ، كيف وقد نَزَل الناس منازلهم وأخذوا أَخَذَاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثلُ مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيتُ ربِّ! فيقول: لك ذلك ومثلُه معه ومثلُه ومثلُه ومثلُه ومثلُه[1]، فقال في الخامسة: رضيتُ رَبِّ! فيقال: هذا لك وعَشَرةُ أمثاله، ولك ما اشتهتْ نَفْسُك ولذَّتْ عينك. فيقول: رضيتُ رَبِّ! قال: رَبِّ، فأعلاهم منزلةً؟ قال: أولئك الذين أردتُ؛ غَرَسْتُ كرامتَهم بيدي، وخَتمتُ عليها، فلم تَرَ عينٌ، ولم تسمع أذنٌ، ولم يَخْطُرْ على قلب بشر». قال: «ومصْداقُه من كتاب الله قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾». وقد رُوي عن المغيرة موقوفاً قوله[2].

وخرَّج مسلم أيضاً عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعَتْ، ولا خَطَرَ على قلبِ بشرٍ، ذُخراً، بَلْهَ ما أَطْلَعَكُمْ [الله] عليه» ثم قرأ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾[3].

وقال ابن سيرين: المرادُ به: النظرُ إلى الله تعالى.

وقال الحسن: أَخْفَى القومُ أعمالاً، فأَخْفَى الله تعالى لهم ما لا عينٌ رَأَتْ ولا أذنٌ سمعت[4].

(١) في (ظ): «ومثله معه». في المواضع الأربعة.

(٢) صحيح مسلم (١٨٩): (٣١٣).

(٣) صحيح مسلم (٢٨٢٤): (٤) وما بين حاصرتين منه. وهو عند أحمد (١٠٠١٧)، والبخاري (٤٧٨٠). قوله: بله، هو من أسماء الأفعال، بمعنى: دع واترك. والمعنى: دَعْ عنك ما أطلعكم الله عليه، فالذي لم يطلعكم عليه أعظم. ينظر النهاية (بله)، وشرح النووي لصحيح مسلم ١٧/ ١٦٦ .

(٤) ذكره بنحوه الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٣٦٤ .

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ۝١٨﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ أي: ليس المؤمنُ كالفاسق؛ فلهذا آتينا هؤلاء المؤمنين الثوابَ العظيم. قال ابن عباس وعطاء ابن يَسار: نزلت الآية في عليّ بن أبي طالب والوليد بنِ عُقبة بن أبي مُعَيْط، وذلك أنهما تَلَاحَيَا، فقال له الوليد: أنا أَبْسَطُ منك لساناً، وأَحَدُّ سِناناً، وأَرَدُّ للكتيبة، وروي: وأَمْلأُ في الكتيبة جسداً. فقال له عليٌّ: اسكتْ! فإنك فاسقٌ، فنزلت الآية[(١)].

وذكر الزجَّاج والنَّحَّاس أنها نزلت في عليٍّ وعُقبةَ بنِ أبي مُعَيْط؛ قال ابن عطية[(٢)]: وعلى هذا يَلزمُ أن تكون الآيةُ مكِّيةً؛ لأنَّ عُقبة لم يكن بالمدينة، وإنما قُتل في طريق مكةَ مُنْصَرَفَ رسولِ الله ﷺ من بدر. ويُعترضُ القولُ الآخَرُ بإطلاق اسمِ الفسْقِ على الوليد. وذلك يَحتَمِلُ أن يكون في صدر إسلام الوليد لشيءٍ كان في نفسه، أوْ لِمَا رُوي من نَقْلِه عن بني المُصْطَلِق ما لم يكن، حتى نزلت فيه: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات:٦] على ما يأتي في «الحُجُرات» بيانُه، ويَحتمِلُ أن تُطْلِقَ الشريعة ذلك عليه؛ لأنه كان على طرفٍ ممَّا يتَّقى[(٣)]، وهو الذي شرب الخمر في زمن عثمان ﷺ، وصلَّى الصبحَ بالناس ثم التفتَ وقال: أتريدون أن أزيدكم[(٤)]، ونحو هذا ممَّا يطول ذِكْرُهُ.

---

(١) أخرجه عن ابن عباس أحمد في فضائل الصحابة (١٠٤٣)، والواحدي في أسباب النزول ص٣٦٧-٣٦٨. وأخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٥٧٩ - ٥٨٠ دون تسمية علي ﷺ والوليد. وأخرجه عن عطاء الطبري ١٨/ ٦٢٥.

(٢) في المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٣، وما قبله منه. وقول الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٢٠٨، أما النحاس فالذي ذكره في إعراب القرآن ٣/ ٢٩٦، وفي معاني القرآن ٥/ ٣٠٧: الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وليس عقبة بن أبي معيط.

(٣) في (د): نبغي، وفي (م) ومطبوع المحرر الوجيز: يبغي، ولم تجود في (خ)، وسقط هذا الموضع من (ز)، والمثبت من (ظ).

(٤) أخرجه مسلم (١٧٠٧)، وأحمد (٦٢٤) و(١٢٣٠).

الثانية: لمَّا قسم الله تعالى المؤمنين والفاسقين الذين فسَّقهم بالكفر ـ لأنَّ التكذيب في آخِرِ الآية يقتضي ذلك[١] ـ اقتضى ذلك نفيَ المساواةِ بين المؤمن والكافر؛ ولهذا منع القِصَاص بينهما؛ إذ مِن شَرْطِ وجوبِ القِصاصِ المساواةُ بين القاتل والمقتول. وبذلك احتجَّ علماؤنا على أبي حنيفةَ في قَتْلِه المسلمَ بالذِّمِّيّ. وقال: أراد نَفْيَ[٢] المساواةِ هاهنا في الآخِرة في الثواب، وفي الدنيا في العدالة. ونحن حَمَلْناه على عمومه، وهو أصحّ؛ إذ لا دليلَ يخصُّه؛ قاله ابن العربيّ[٣].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ﴾ قال الزَّجَّاج وغيره: «مَنْ» يَصْلُح للواحد والجمع[٤]. النحَّاس[٥]: لفظُ «مَنْ» يؤدِّي عن الجماعة، فلهذا قال: «لا يستوون»؛ هذا قولُ كثيرٍ من النحويين. وقال بعضهم: «لا يستوون» لاثنين؛ لأنَّ[٦] الاثنين جمع، لأنه واحدٌ جُمع مع آخَر. وقاله الزجَّاج أيضاً. والحديثُ يدلُّ على هذا القول؛ لأنه عن ابن عباس وغيره قال: نزلت ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ في عليّ بن أبي طالب ﷺ، ﴿كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ في الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيْط[٧]. وقال الشاعر:

ألـيـس الـمـوتُ بـيـنـهـمـا سـواءً ... إذا مـاتـوا وصـاروا فـي الـقـبـورِ[٨]

قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ أخبر عن مَقَرّ

---

(١) يعني في آخر الآية (٢٠).
(٢) في (د) و(ظ): بنفي.
(٣) في أحكام القرآن ٣/ ١٤٩٠ .
(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٠٨ .
(٥) في إعراب القرآن ٣/ ٢٩٦ .
(٦) في إعراب القرآن: إلا أن، بدل: لأن.
(٧) سلف في المسألة الأولى.
(٨) سلف ٦/ ١٢١ .

الفريقين غداً؛ فللمؤمنين جناتُ المأوى، أي: يأوون إلى الجنات، فأضاف الجناتِ إلى المأوى؛ لأنَّ ذلك الموضع يتضمَّن جنات. ﴿نُزُلًا﴾ أي: ضيافة. والنُّزُلُ: ما يُهيَّأ للنازِلِ والضَّيف. وقد مضى في آخِر «آل عمران»[(١)] وهو نصبٌ على الحال من الجنات، أي: لهم الجناتُ معدَّةً، ويجوز أن يكون مفعولاً له.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ أي: خرجوا عن الإيمان إلى الكفر ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: مُقامُهم فيها. ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ أي: إذا دَفَعهم لهبُ النار إلى أعلاها رُدُّوا إلى موضعهم فيها؛ لأنهم يطمعون في الخروج منها. وقد مضى هذا في «الحج»[(٢)].

﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ أي: يقول لهم خَزَنةُ جهنم، أو يقول الله لهم: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ والذوق يُستعمل محسوساً ومعنًى. وقد مضى في هذه السورة بيانُه[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ قال الحسنُ وأبو العاليةِ والضحَّاك وأُبَيّ بن كعب وإبراهيم النَّخَعيُّ: العذابُ الأدنى: مصائبُ الدنيا وأسقامُها مما يُبْتَلَى به العبيد حتى يتوبوا. وقاله ابن عباس[(٤)]. وعنه أيضاً: أنه الحدود[(٥)].

---

(١) ٥/ ٤٨٢ - ٤٨٣ .

(٢) ١٤/ ٣٤٥ .

(٣) ص٢٦ و٢٧ من هذا الجزء.

(٤) أخرج قولهم الطبري ١٨/ ٦٢٧ - ٦٢٩ ، وأخرجه بنحوه عن أبيٍّ أيضاً مسلم (٢٧٩٩)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٢١١٧٣).

(٥) أخرجه الطبري ١٨/ ٦٢٩ . قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٣ : ويتجه على هذا التأويل أن تكون في فَسَقَة المؤمنين.

وقال ابن مسعود والحسين بن عليٍّ وعبد الله بن الحارث: هو القتلُ بالسيف يومَ بدر[١].

وقال مقاتل: الجوعُ سبعَ سنين بمكة حتى أكلوا الجِيَفَ[٢]؛ وقاله مجاهد[٣]. وعنه أيضاً: العذاب الأدنى: عذابُ القبر، وقاله البراء بن عازب[٤]، قالوا: والأكبرُ: عذابُ يوم القيامة؛ قال القُشَيريُّ: وقيل: عذاب القبر، وفيه نظر؛ لقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. قال: ومَن حَمَل العذابَ على القتل قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يرجع مَن بقيَ منهم. ولا خلافَ أنَّ العذاب الأكبر عذابُ جهنَّم، إلَّا ما رويَ عن جعفر بن محمد: أنه خروجُ المهديِّ بالسيف، والأدنى غلاءُ السعر[٥].

وقد قيل: إن معنى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ على قولِ مجاهدٍ والبراء: أي: لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه؛ كقوله: ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [السجدة: ١٢]، وسُمِّيتْ إرادةُ الرجوعِ رجوعاً كما سُمِّيتْ إرادة القيام قياماً في قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ﴾، ويدلُّ عليه قراءةُ مَن قرأ: «يُرْجَعُون» على البناء للمفعول؛ ذكره الزَّمَخْشري[٦].

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحدَ أظْلَمُ لنفسه ﴿مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾

---

(١) أخرج قولهم الطبري ١٨/ ٦٢٩ - ٦٣٠، وفيه: الحسن بن علي، بدل: الحسين، وكذلك وقع في المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٣.

(٢) ذكره البغوي ٣/ ٥٠٢.

(٣) أخرجه الطبري ١٨/ ٦٣٠ بلفظ: القتل والجوع لقريش في الدنيا.

(٤) النكت والعيون ٤/ ٣٦٥، وأخرجه عن مجاهد الطبري ١٨/ ٦٣١.

(٥) ذكره عن جعفر الصادق الماورديُّ في النكت والعيون ٤/ ٣٦٥.

(٦) في الكشاف ٣/ ٢٤٥.

أي: بحُجَجِه وعلاماته ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ بتركِ القبول .﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ لتكذيبهم وإعراضهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ أي: فلا تكن يا محمد في شكٍّ من لقاء موسى؛ قاله ابن عباس، وقد لقِيَه ليلةَ الإسراء[(١)]. قتادة: المعنى: فلا تَكُنْ في شكٍّ من أنَّك لقيتَه ليلةَ الإسراء[(٢)]. والمعنى واحد.

وقيل: فلا تكن في شكٍّ من لقاء موسى في القيامة، وستلقاه فيها[(٣)].

وقيل: فلا تكن في شكٍّ من لقاء موسى الكتابَ بالقبول؛ قاله مجاهدٌ والزجّاج[(٤)].

وعن الحسن أنه قال في معناه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ فأوذيَ وكُذِّب، فلا تكن في شكٍّ من أنه سيلقاك ما لقِيَه من التكذيب والأذى. فالهاءُ عائدةٌ على محذوف، والمعنى: مِن لقاءِ ما لاقَى. النحَّاس[(٥)]: وهذا قولٌ غريب، إلَّا أنه من رواية عمرو بن عُبيد.

وقيل: في الكلام تقديمٌ وتأخير، والمعنى: قل يتوفَّاكم مَلَكُ الموت الَّذي وُكِّلَ

(١) ذكره عن ابن عباس بنحوه البغوي ٣/ ٥٠٣ ، وحديث ابن عباس في لقاء النبي ﷺ موسى عليه السلام في الإسراء أخرجه البخاري (٣٢٣٩)، ومسلم (١٦٥)، والطبري ١٨/ ٦٣٦ .

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٦٣٦ ، وأخرجه بنحوه مسلم إثر الحديث (١٦٥).

(٣) النكت والعيون ٤/ ٣٦٦ .

(٤) في معاني القرآن ٤/ ٢٠٩ .

(٥) في إعراب القرآن ٣/ ٢٩٧ ، وما قبله منه.

بكم، فلا تكن في مِرْيةٍ من لقائه، فجاء معترِضاً بين ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ وبين ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[١].

والضميرُ في «وجَعَلْناه» فيه وجهان: أحدهما: جعلنا موسى؛ قاله قتادة. الثاني: جعلنا الكتاب؛ قاله الحسن[٢].

﴿وجَعَلْنَا منهم أَيِمَّةً﴾ أي: قادةً وقُدْوةً يُقتَدَى بهم في دينهم. والكوفيون يقرؤون: ﴿أَئِمَّةً﴾[٣]؛ النحاس[٤]: وهو لحنٌ عند جميع النَّحْويين؛ لأنه جمع بين همزتين في كلمةٍ واحدة، وهو من دقيقِ النحو؛ وشَرْحُه: أنَّ الأصل: «أَأْمِمَة»، ثم أُلقيتْ حركةُ الميم [الأولى] على الهمزة وأُدغمت الميم [في الميم] وخفِّفت الهمزة الثانية لئلَّا يجتمعَ همزتان، والجمعُ بين همزتين في حرفين بعيد، فأمَّا في حرفٍ واحدٍ[٥] فلا يجوز إلَّا بتخفيف الثانية، نحو قولك: آدم وآخر. ويقال: هذا أَوَمُّ من هذا وأَيَمّ، بالواو والياء. وقد مضى هذا في «براءة»[٦]، والله تعالى أعلم.

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يدعون الخَلْقَ إلى طاعتنا .﴿بِأَمْرِنَا﴾ أي: أَمَرْناهم بذلك. وقيل: «بأَمْرِنا» أي: لأَمْرِنا، أي: يهدون الناس لدِيننا. ثم قيل: المرادُ الأنبياءُ عليهم السلام؛ قاله قتادة[٧]. وقيل: المرادُ الفقهاءُ والعلماء.

﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ قراءةُ العامَّة: «لَمَّا» بفَتْحِ اللام وتشديدِ الميم وفَتْحِها، أي: حين

---

(١) ذكر هذا القول ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٣٦٤ .

(٢) النكت والعيون ٤/ ٣٦٦ ، وقول قتادة أخرجه الطبري ١٨/ ٦٣٧ .

(٣) وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي، وسهَّل الثانية نافع وأبو عمرو وابن كثير. ينظر التيسير ص٣٢ .

(٤) في إعراب القرآن ٣/ ٢٩٧ ، وما قبله وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٥) يعني في كلمة واحدة. ينظر معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٠٩ .

(٦) ١٠/ ١٢٧ .

(٧) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٣٦٦ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٣٤٤ دون نسبة. وأخرج الطبري عن قتادة أنه قال في معنى «أئمة»: رؤساء في الخير.

صبروا. وقرأ يحيى وحمزةُ والكسائيُّ وخَلَف ورُوَيْس عن يعقوب: ﴿لِمَا صَبَرُوا﴾[(١)] أي: لِصَبْرِهم جعلناهم أئمةً. واختاره أبو عبيد اعتباراً بقراءة ابنِ مسعود: «بما صَبَروا» بالباء[(٢)].

وهذا الصبرُ صبرٌ على الدِّين وعلى البلاء. وقيل: صبروا عن الدنيا.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: يقضي ويحكم بين المؤمنين والكفار، فيُجازي كُلًّا بما يَستحقّ. وقيل: يقضي بين الأنبياء وبين قومهم؛ حكاه النقاش[(٣)].

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٦)﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ وقتادة وأبو زيد عن يعقوب: «نَهْدِ لَهُمْ» بالنون، فهذه قراءةٌ بيِّنة[(٤)]. النحاس: وبالياء فيها إشكالٌ؛ لأنه يقال: الفعل لا يخلو من فاعل، فأين الفاعلُ لـ «يَهْدِ»؟ فتكلَّم النحويون في هذا؛ فقال الفراء: «كَمْ» في موضعِ رفعٍ بـ «يَهْدِ». وهذا نقضٌ لأصول النحويِّين في قولهم: إنَّ الاستفهام لا يعمل فيه ما قَبْلَه، ولا في «كَمْ» بوجهٍ، أعني ما قَبْلَها. ومذهبُ أبي العباس: أنَّ «يهْدِ» يدلُّ على الهُدَى؛ والمعنى: أَوَلَمْ يَهْدِ لهم الهُدَى. وقيل: المعنى: أَوَلَمْ يَهْدِ اللهُ لهم، فيكون معنى الياءِ والنون واحداً، أي: أَوَلَمْ نُبَيِّن لهم إهلاكَنا القرونَ الكافرةَ مِن قَبْلِهم. وقال الزجَّاج: «كَمْ» في موضعِ نصبٍ بـ «أَهْلَكْنا»[(٥)].

---

(١) السبعة ص٥١٦، والتيسير ص١٧٧، والنشر ٢/ ٣٤٧ عن حمزة والكسائي ورويس.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٣٢، وتفسير الطبري ١٨/ ٦٣٨.

(٣) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٣٦٧.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٩٨ عن السلمي وقتادة، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١١٨ عن علي وابن عباس والسلمي.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٩٨، وقول الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٣٣٣، وقول الزجاج في معاني القرآن له ٤/ ٢١١.

﴿يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ﴾ يَحتمِل الضميرُ في «يَمْشُون» أن يعود على الماشين في مساكن المُهْلَكين، أي: وهؤلاء يمشون ولا يعتبرون. ويَحتمِل أن يعود على المهلَكين فيكون حالاً، والمعنى: أهلكناهم ماشين في مساكنهم. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ آياتِ اللهِ وعِظَاتِه فيتَّعِظُون؟!

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ أي: أَوَلَمْ يعلموا كمالَ قُدْرَتِنا بسَوْقِنا الماءَ إلى الأرض اليابسة التي لا نباتَ فيها لِنُحْيِيَها. الزَّمَخْشريُّ[(١)]: الجُرُز: الأرضُ التي جُرِز نباتُها، أي: قُطع؛ إمَّا لعُدْمِ الماء، وإمَّا لأنه رُعيَ وأُزيل. ولا يقال للَّتي لا تُنْبِتُ كالسِّبَاخ: جُرُز، ويدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾.

قال ابن عباس: هي أرضٌ باليمن. وقال مجاهد: هي أَبْيَن[(٢)]. وقال عكرمة: هي الأرضُ الظَّمْأى. وقال الضحَّاك: هي الأرضُ الميتةُ العَطْشَى. وقال الفرَّاء[(٣)]: هي الأرض التي لا نباتَ فيها. وقال الأصمعيُّ: هي الأرضُ التي لا تُنْبِتُ شيئاً. وقال محمد بن يزيد: يَبْعُدُ أن تكون إلَّا أرضاً بعينها لدخول الألفِ واللام، إلَّا أنه يجوز على قول ما قال ابن عباس والضحاك[(٤)]. [قال أبو جعفر:] والإسنادُ عن ابن عباس صحيحٌ لا مطعنَ فيه. وهذا إنَّما هو نعتٌ، والنعتُ للمعرفة يكون بالألف واللام، وهو مشتقٌّ من قولهم: رجلٌ جَرُوزٌ: إذا كان لا يُبْقي شَيْئاً إلَّا أَكَلَه؛ قال الراجز:

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٤٧.

(٢) أخرج القولين الطبري ١٨/ ٦٤١ - ٦٤٢، وذكرهما النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢٩٨. وأبين: موضع في اليمن. ينظر معجم البلدان ١/ ٨٦.

(٣) في معاني القرآن ٢/ ٣٣٣، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢٩٨ - ٢٩٩، وما قبله وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٤) في النسخ: يبعد أن تكون لأرض بعينها لدخول الألف واللام إلا أنه يجوز على قول من قال العباس والضحاك، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس.

خَـبٌّ جَـروزٌ وإذا جـاع بَـكَـى ويـأكـل الـتـمرَ ولا يُـلـقـي الـنَّـوَى[1]

وكذلك ناقةٌ جَروزٌ: إذا كانت تأكل كلَّ شيء تَجِدُه. وسيفٌ جُراز: أي: قاطِعٌ ماضٍ. وَجَرَزتِ الجرادُ الزَّرْعَ: إذا استأصلته بالأكل. وحكى الفرَّاء[2] وغيره أنه يقال: أرضٌ جُرْز وجُرُز وجَرْز وجَرَز. وكذلك بُخل ورُغب ورُهب؛ في الأربعة أربعُ لغات.

وقد روي أنَّ هذه الأرضَ لا أنهارَ فيها، وهي بعيدةٌ من البحر، وإنَّما يأتيها في كلِّ عامٍ واديان، فيزرعون ثلاثَ مراتٍ في كلِّ عام. وعن مجاهد أيضاً: أنَّها أرضُ النِّيل.

﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ﴾ أي: بالماء ﴿زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ﴾ من الكلأ والحشيش ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ من الحَبِّ والخَضِرِ والفواكه ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ هذا فيعلمون أنَّا نقدِرُ على إعادتهم؟!

و«فَنُخْرِجُ» يكون معطوفاً على «نَسُوقُ»، أو منقطعاً ممَّا قَبْلَه. «تَأْكُلُ مِنْهُ أَنعَامهم» في موضعِ نصبٍ على النعت.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ «مَتَى» في موضع رفعٍ، ويجوز أن يكون في موضع نصبٍ على الظَّرْف[3]. قال قتادة: الفتح: القضاء[4]. وقال الفرَّاء والقُتَبيُّ: يعني فتحَ مكة[5]. وأَوْلى مِن هذا ما قاله مجاهد، قال: يعني يومَ القيامة.

---

(١) الرجز للشماخ، وهو في ديوانه ص٣٨٠ - ٣٨١، والأول منهما برواية: خبٌّ جبانٌ. وهو برواية المصنف في المقصور والممدود للفراء ص٦٧، ومقاييس اللغة ٢/ ٧٩، والصحاح (حطب) والنكت والعيون ٤/ ٣٦٧، واللسان (حثا) و(حطب). وفيه: الخب، أي: اللئيم.

(٢) في معاني القرآن ٢/ ٣٣٣، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢٩٩.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٩٩.

(٤) ذكره النحاس في معاني القرآن ٥/ ٣١٤، وأبو الليث ٣/ ٣٣.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٣٣، وتفسير الغريب لابن قتيبة ص٣٤٧.

ويُروى أنَّ المؤمنين قالوا: سيحكُم الله عزَّ وجلَّ بيننا يومَ القيامة، فيثيبُ المحسنَ ويعاقب المسيء، فقال الكفار على التَّهزّي: متى يومُ الفتح؟ أي: هذا الحُكْم. ويقال للحاكم: فاتح وفتَّاح؛ لأنَّ الأشياء تنفتح على يديه وتنفصل. وفي القرآن: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩][١] وقد مضى هذا في «البقرة»[٢] وغيرها.

﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾ على الظَّرف. وأجاز الفرَّاء الرفع[٣]. ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي: يؤخَّرون ويُمْهَلون للتوبة، إن كان يومُ الفتحِ يومَ بدرٍ أو فتحَ مكة. ففي بدر قُتلوا، ويومَ الفتحِ هربوا، فلحقهم خالد بنُ الوليد فقتلهم.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ قيل: معناه: فأعْرِضْ عن سَفَهِهم ولا تُجِبْهم إلَّا بما أُمرتَ به ﴿وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ أي: انتظرْ يومَ الفتح، يومَ يحكُم الله لك عليهم[٤].

ابن عباس: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: عن مُشْركي قريش بمكة، وأنَّ هذا منسوخٌ بالسيف في «براءة» في قوله: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥][٥]، ﴿وَٱنتَظِرْ﴾ أي: موعدي لك. قيل: يعني يومَ بدر. ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ أي: ينتظرون بكم حوادثَ الزمان.

وقيل: الآيةُ غيرُ منسوخة؛ إذ قد يقع الإعراضُ مع الأمر بالقتال؛ كالهُدْنة وغيرها. وقيل: أَعْرِضْ عنهم بعد ما بَلَّغتَ الحُجَّة، وانتَظِرْ إنهم منتظرون.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٩٩ - ٣٠٠.

(٢) ٢/ ٢١٤ - ٢١٥.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٠٠، وقول الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٣٣٣.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٠٠.

(٥) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٥٨١ من طريق جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس.

إن قيل: كيف ينتظرون القيامةَ وهم لا يؤمنون؟ ففي هذا جوابان:

أحدهما: أن يكون المعنى: إنهم منتظرون الموتَ، وهو من أسباب القيامة، فيكون هذا مجازاً.

والآخر: أنَّ فيهم مَن يشكُّ، وفيهم مَن يؤمن بالقيامة، فيكون هذا جواباً لهذين الصِّنْفَين. والله أعلم[١].

وقرأ ابن السَّمَيْفَع: «إِنَّهم مُنْتَظَرون» بفتح الظاء[٢]. ورويتْ عن مجاهدٍ وابن مُحَيْصِن. قال الفرَّاء: لا يصحّ هذا إلَّا بإضمارٍ، مَجازُه: إنهم منتظَرون بهم. قال أبو حاتم: الصحيحُ الكسر[٣]، أي: انتظر عذابهم إنَّهم منتظِرون هلاكَك.

وقد قيل: إنَّ قراءةَ ابن السَّمَيْفَع ـ بفتح الظاء ـ معناها: وانتَظِرْ هلاكَهم، فإنَّهم أحِقَّاءُ بأن يُنْتظَر هلاكُهم، يعني أنَّهم هالكون لا مَحالةَ، [أو] وانتظر ذلك، فإنَّ الملائكة في السماء ينتظرونه؛ ذكره الزمخشرِيّ[٤]. وهو معنى قولِ الفرَّاء. والله أعلم.

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٠٠.

(٢) المحتسب ٢/ ١٧٥، والكشاف ٣/ ٤٧.

(٣) ذكر قول أبي حاتم ابنُ جني في المحتسب ٢/ ١٧٥، ولم نقف على قول الفراء في معاني القرآن له.

(٤) في الكشاف ٢/ ٢٤٧، وما سلف بين حاصرتين منه.

سورة الأحزاب

مدنيَّةٌ في قول جميعِهم، نزلت في المنافقين وإيذائهم رسولَ الله ﷺ، وَطعْنِهم فيه وفي مناكَحته وغيرها، وهي ثلاثٌ وسبعون آيةً. وكانت هذه السورةُ تَعْدِلُ سورةَ البقرة. وكانت فيها آيةُ الرَّجْم: «الشَّيخُ والشيخةُ إذا زَنَيا فارجموهُما الْبَتَّةَ نَكالاً من الله واللهُ عزيزٌ حكيم»؛ ذكره أبو بكر الأنباريُّ عن أُبَيِّ بن كعب[1]. وهذا يَحْمِلُه أهلُ العلم على أنَّ الله تعالى رَفَع من الأحزاب إليه ما يَزِيدُ على ما في أيدينا، وأنَّ آية الرَّجْم رُفع لَفْظُها، وقد حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن خالد قال: حدّثنا أبو عبيد القاسم بنُ سلَّام قال: حدَّثنا ابن أبي مريم، عن ابن لَهيعة، عن أبي الأسود، عن عروةَ، عن عائشة قالت: كانت سورة الأحزاب تَعْدِلُ على عهد رسول الله ﷺ مئتي آية، فلمَّا كُتب المصحفُ لم يقدر منها إلَّا على ما هي الآن[2]. قال أبو بكر: فمعنى هذا من قول أمِّ المؤمنين عائشة: أنَّ الله تعالى رفع إليه من سورة الأحزاب ما يَزيد على ما عندنا.

قلت: هذا وجهٌ من وجوه النسخ، وقد تقدَّم في «البقرة» القولُ فيه مستوفًى[3] والحمد لله.

ورَوَى زِرٌّ قال: قال لي أُبَيّ بن كعب: كم تعدُّون سورةَ الأحزاب؟ قلت: ثلاثاً

---

(١) هو عند ابن الأنباري في المصاحف كما ذكر السيوطي في الدر المنثور ٥/ ١٧٩ ، وأخرجه أيضاً أبو عبيد في فضائل القرآن ص١٩٠-١٩١ ، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٢١٢٠٧)، والنسائي في الكبرى (٧١١٢)، وسيرد لفظه بتمامه.

(٢) هو عند ابن الأنباري فيما ذكر السيوطي في الدر المنثور ٥/ ١٨٠ ، وأخرجه أيضاً أبو عبيد في فضائل القرآن ص١٩٠ ، وفيهما: فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها . . . الخ. والقائل: حدثنا أحمد ابن الهيثم. . . هو ابن الأنباري. وقد ردَّ الباقلاني هذه الروايات في الانتصار ١/ ٣٩٤ ، ونقلنا كلامه ٢/ ٣٠٢ .

(٣) ٢/ ٣٠٠ .